بسم الله الرحمن الرحيم

محدث العصر

محمد ناصر الدين الألباني

بقلم
سمير بن أمين الزهيري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
فلا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب،أو تخزينه
أو تسجيله بأية وسيلة،أوتصويره،أوترجمته،أوإعادة طبعه
دون موافقة خطية مسبقة من المؤلف

الطبعة الأولى: ذو الحجة ١٤٢٠هـ

الطبعة الثانية: محرم ١٤٢١ هـ

ⓒ دار المغني للنشر والتوزيع ، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الزهيدي ، سمير أمين
محدث العصر محمد ناصر الدين الألباني ـ الرياض.
١١٢ص ، ١٧×٢٤سم
ردمك : ٣-٢٠-٧٦٢-٩٩٦٠
١- الألباني ، محمد ناصر الدين ، ت١٤٢٠هـ أ- العنوان
ديوي ٩٢٠،١١٣ ٢١/٠٨٠٠

رقم الإيداع : ٢١/٠٨٠٠
ردمك : ٣-٢٠-٧٦٢-٩٩٦٠

دار المغني للنشر والتوزيع
ص.ب:١٥٤٠٤١ – الرياض ١١٧٤٨
هاتف / ناسوخ: ٤٢٥٧٠١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فهذه **الطبعة الثانية** من كتابي: «محدث العصر: محمد ناصر الدين الألباني» بعد أن نفدت الطبعة الأولى في وقت وجيز، ولله الحمد.

واستجابة لرغبة الكثيرين نقوم بطباعته مرة ثانية مع إضافات وتصحيحات، كحصر جميع مؤلفاته ـ رحمه الله ـ وقد استفدتها من «مجلة الأصالة» ـ جزى الله القائمين عليها خيراً ـ العدد رقم (٢٣).

وهذه الترجمة ليست مما يوفّى به حق شيخنا ـ رحمه الله ـ وإنما هو جهد متواضع للتعريف به وبدعوته، قد كان واجبًا عليّ القيام به، خاصة بعد أن خلت الساحة من كثير من أهل العلم ـ بارك الله في الباقين، ونفع بعلمهم ـ وخشية من ترؤس الجهال؛ الذين حذر النبي ﷺ منهم بقوله: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا». قد كانت هذه الترجمة للتعريف بعلم من هؤلاء العلماء.

أسأل الله العلي العظيم أن يسكن شيخنا ـ رحمه الله، وسابقيه من أهل العلم ـ فسيح جناته، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يكثر في الأمة من العلماء الربانيين؛ العالمين العاملين، السائرين على نهج سيد الأنام؛ محمد بن عبد الله ﷺ.

وكتب: سمير بن أمين الزهيري

الرياض في: ١٩/ ١٢/ ١٤٢٠هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفُسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يا أيُّها الذين آمنُوا اتَّقُوا الله حقَّ تُقاتِه ولا تموتُنَّ إلا وأنتُم مسلِمُون﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِنْ نَفسٍ وَاحِدةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأرْحَامَ إنَّ الله كَانَ عَلَيْكُم رَقِيبًا﴾[النساء: ١].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَولاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أعْمَالَكُم وَيَغْفِرْ لَكُم ذُنُوبَكم وَمَن يُطعِ اللهَ وَرَسُولَه فَقَدْ فَازَ فَوزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعدُ: فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله تعالى، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالة في النار[1].

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه، وقد كان الفضل الأول ـ بعد الله عز وجل ـ لشيخنا رحمه الله في نشر هذه الخطبة بين الناس، وإحياء هذه السنة التي كانت نسيًا=

أما بعد:

«فإن الله عز وجل وتقدَّست أسماؤه اختصَّ من خلقه مَن أحبَّ، فهداهُم للإيمانِ، ثم اختصَّ مِن سائر المؤمنين مَن أحبّ، فتفضّل عليهم، فعلّمهم الكتابَ والحكمةَ، وفقّههم في الدينِ، وعلّمهم التأويلَ، وفضّلهم على سائر المؤمنين، وذلك في كلِّ زمانٍ وأوانٍ.

رفعَهم بالعلمِ، وزيّنهم بالحلم، بهم يعرفُ الحلالُ من الحرامِ، والحقُّ من الباطلِ، والضّارُّ من النافع، والحسنُ من القبيحِ.

فضلُهم عظيمٌ، وخطرُهم جزيلٌ، ورثةُ الأنبياء، وقرةُ عين الأولياء.

الحيتانُ في البحارِ لهم تستغفرُ، والملائكةُ بأجنحتِها لهم تخضعُ.

والعلماءُ في القيامةِ بعد الأنبياء تشفعُ، مجالسُهم تفيد الحكمة، وبأعمالِهم ينزجر أهلُ الغفلة.

هم أفضلُ من العبّاد، وأعلى درجةً من الزّهاد، حياتُهم غَنيمةٌ، وموتُهم مُصيبةٌ، يذكِّرون الغافلَ، ويعلِّمون الجاهلَ، لا يُتوقع لهم بائقةٌ، ولا يُخاف منهم غائلةٌ.

بحسن تأديبهم يتنازع المطيعون، وبجميل موعظتهم يرجع المقصرون.

=منسيًا، وقد قام رحمه الله بتأليف رسالة في هذه الخطبة بعنوان: «خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه».

جميعُ الخلقِ إلى علمهم محتاج، والصحيح على مَن خالف بقولهم مِحجاج.

الطاعةُ لهم مِن جميع الخلق واجبةٌ، والمعصيةُ لهم محرّمة.

مَن أطاعهم رَشَدَ، ومن عصاهم عَنَدَ.

ما ورد على إمامِ المسلمين من أمرٍ اشتبه عليه حتى وقفَ فيه، فبقولِ العلماء يعملُ، وعن رأيهم يصدر، وما ورد على أمراءِ المسلمين من حُكمٍ لا علمَ لهم به، فبقولهم يعملُون، وعن رأيهم يصدُرون.

وما أشكلَ على قُضاة المسلمين من حُكمٍ، فبقولِ العلماء يحكُمُون، وعليه يعوّلون، فهم سراجُ العباد، ومنار البلاد، وقِوَام الأمة، وينابيع الحكمة.

هم غيظُ الشيطان، بهم تحيا قلوبُ أهل الحقّ، وتموت قلوبُ أهل الزيغ.

مَثَلُهم في الأرضِ كمَثَلِ النجومِ في السماء، يُهتدىٰ بها في ظُلمات البرّ والبحر، إذا انطمستِ النجومُ تَحيّروا، وإذا أسفرَ عنها الظلامُ أبصروا»[1].

وبعد:

فهذه ترجمة موجزة لواحدٍ من هؤلاء العلماء الكبراء، ألا وهو شيخنا الإمام شيخ الإسلام محمد ناصر الدين الألباني، الذي ابتليت

---

(١) من كلام الإمام الآجري في كتاب «أخلاق العلماء» ص (٣ ـ ٤) بتحقيقي.

الأمة بمصيبة وفاته يوم السبت في (عمّان) عاصمة الأردن، قبيل أذان المغرب، بتاريخ (٢٢/ ٦/ ١٤٢٠هـ) الموافق(٢/ ١٠/ ١٩٩٩م).

وبموته ـ رحمه الله ـ وموت شيخنا شيخ الإسلام عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الذي لم يكن بين موتهما إلا أقل من خمسة أشهر، تكون الأمة الإسلامية قد رُزئت بمصابٍ جَلَلٍ، لم تصب بمثله منذ زمن بعيد، ومما يزيد عظم الخطب والمصاب أنه لم يكن لهما نظيرٌ في الأمة؛ في عِلْمهما، وفي دعوتهما للكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وفي نبذهما للتقليد والجمود المذهبي الذي سيطر على الأمة لعقود طويلة، وكان أحد أسباب تخلّفها.

وإن كان مما يهون علينا وعلى الأمة من هذه المصيبة، هو تذكرنا لمصيبتنا العظمى، ألا وهي مُصيبتنا برسول الله ﷺ حيث قال:

« إذا أُصيب أحدُكم بمصيبةٍ، فليذكر مصيبته بي؛ فإنها أعظم المصائب». «الصحيحة» [١١٠٦].

ووالله إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولانقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا على فراق الشيخين لمحزونون.

اللهم ارفع درجتهما، وأسكنهما الفردوس الأعلى، وأجرنا في مصيبتنا، واخلف لنا خيراً، واحشرنا معهما تحت لواء نبيك محمد ﷺ.

الاثنين

٢٣/ ٧/ ١٤٢٠هـ

محدث العصر

هو : الإمام ، شيخ الإسلام ، سيد المحدثين والفقهاء[1] ، الزاهد ، الورع ، الأثري : محمد ناصر الدين بن نوح آدم نجاتي

نسبه:الألباني .

كنيته: أبو عبد الرحمن

مولده:ولد في مدينة «أشقودرة» عاصمة ألبانيا في ذلك الوقت ، عام (١٣٣٢هـ) (١٩١٤م)، وعاش في تلك المدينة قريباً من تسع سنوات .

هجرة والده: كان والد الشيخ من علماء بلده ، وفقهاء المذهب الحنفي فيها ؛ إذ درس في المعاهد الشرعية في اسطنبول .

وفي فترة حكم العلماني المسمى بـ: (أحمد زوغو) هاجر والده

---

(١) قال شيخنا ـ رحمه الله ـ : «يلزم الفقيه أن يكون محدثًا ، ولا يلزم المحدث أن يكون فقيهًا ؛ لأن المحدث فقيه بطبيعة الحال ، هل كان أصحاب النبي ﷺ يدرسون الفقه أم لا؟ وما هو الفقه الذي كانوا يدرسونه ؟ هو ما كانوا يأخذونه من رسول الله ﷺ ؛ إذن هم يدرسون الحديث .
أما هؤلاء الفقهاء! الذين يدرسون أقوال العلماء وفقههم!! ولا يدرسون حديث نبيهم ؛ الذي هو منبع الفقه ، فهؤلاء يقال لهم : يجب أن تدرسوا علم الحديث ، إذ إننا لا نتصور فقهًا صحيحًا بدون معرفة الحديث ؛ حفظًا وتصحيحًا وتضعيفًا ، وفي الوقت نفسه لا نتصور محدثًا غير فقيه!
فالقرآن والسنة هما مصدر الفقه ؛ كل الفقه .
أما الفقه المعتاد اليوم هو فقه العلماء ، وليس فقه الكتاب والسنة . نعم ؛ بعضه موجود في الكتاب والسنة ، وبعضه عبارة عن آراء واجتهادات ، لكن في الكثير منها مخالفة منهم للحديث ؛ لأنهم لم يحيطوا به علمًا» .

بأسرته فراراً بدينه؛ عندما رأىٰ حاكم بلده انساق وراء الغرب، ونشر الفساد الخلقي، والاجتماعي، والفكري.

فقد ألزم هذا الحاكم الناس بتقليد الغرب في مظاهر حياتهم، حتىٰ إنه ألزمهم بلبس القبعة الغربية، وغير الأذان في المساجد من اللغة العربية إلىٰ اللغة الألبانية!!

فكان لابدّ له من الهجرة فراراً بدينه، وحفاظًا علىٰ عقيدة أبنائه وأخلاقهم.

وكان مُهاجَره الذي اختاره بلاد الشام؛ لما فيها من الفضائل التي وردت في السنة النبوية، فركب البحر من ألبانيا إلىٰ بيروت، ثم من بيروت إلىٰ مدينة دمشقَ خاصةً؛ للحأديث الواردة في فضائل الشام عامة، ولحديثٍ ورد في فضل الصلاة في مسجد دمشق خاصة (الجامع الأموي)! وهو مذكور في كتب الأحناف، وإن كان لا يصح[1]!

فضلاً عن معرفته لدمشق لمروره بها في حجّه، ولقرب مناخها من مناخ بلاده.

وفي دمشق افتتح محلاً لإصلاح الساعات، وهي مهنته التي كان قد تعلمها في (فيينا) عاصمة النمسا؛ إضافة إلىٰ قيامه علىٰ أمر أحد مساجد دمشق.

---

(١) انظر «تحذير الساجد» ص (١٣٤).

صفاته الخَلْقِيّة

كان ـ رحمه الله ـ تام الخَلْق، ذا بشرة بيضاء مشربة بالحمرة[1]، أزرق العينين، عظيم الجثة، طويلاً بيّن الطول ، بعيد ما بين المنكبين.

له لحية بيضاء ناعمة، وكان لا يتركها تزيد على القبضة، وكان يخضب أحيانًا، وكان إذا خضب من أجمل الناس وأبهاهم.

ومن رآه حتى وهو في هذه السنّ (أي: كبيرًا) حسبه ـ والله حسيبه ـ أن الله عزوجل جعل له نصيبًا وافرًا من دعوة نبيه ﷺ : «نضّر الله امرءًا سمع مقالتي . . . » الحديث.

كان يلبس القميص القصير ، وكان يغطي رأسه بالقلنسوة ، أو ما يسمى بـ: (الطاقية) ، وقلّما كان يلبس الخمار، أو ما يسمى بـ: (الغترة)، وكان إذا لبس ذلك لبس الأبيض منه، لا الأحمر.

وكانت له نظارة يلبسها للقراءة ، وإن لم يكن دائمًا، لكن كثيراً.

كان ذا همة ونشاط، إذا مشى أتعب من معه؛ إذ كان واسع الخطوة.

رأيته مراراً وتكراراً، وهو يصعد أو ينزل درج مسجد صلاح الدين[2]، ونحن حوله، فلا نكاد نلحق به.

---

(١) سحنته اوربية، وليس كما قال أحدهم: بخارية!!

(٢) وهذا المسجد هو منارة الدعوة السلفية في عَمَّان (الدوار الرابع)، وإمامه هو فضيلة الشيخ العلامة الفقيه أستاذنا وشيخنا محمد بن إبراهيم شقرة ـ حفظه الله ـ وكان من أبر الناس بشيخنا الألباني رحمه الله.

حتىٰ آخر حجة حجها ـ رحمه الله ـ عام (١٤١٠هـ) طاف وسعىٰ ماشيًا، وكان كأنه أشبّ الجميع.

له جلالة ومهابة في النفوس عظيمة، لا أذكر أنني رأيت مثل ذلك لغيره رحمه الله رحمة واسعة.

وأما ذهنه فكان وقّادًا، حتىٰ إن المرء ليتعجب من حدة ذهنه، وشدة ذكائه، وحفظه، بحيث كان يدرّس، ثم يقطع الدرس للصلاة أو للطعام، فإذا انتهىٰ وعاد إلىٰ مجلسه بدأ من الكلمة التي انتهىٰ عندها، وكأنه لم يقم من مجلسه.

ومع شدة مرضه الذي طال لم يغب هذا الذهن عن حضوره[1].

---

(١) أما ما زعمه البعضُ من أن الشيخ قبل موته ـ بشهر أو أكثر ـ لم يعد يعرف إلا المقربين منه، فالمؤكد أن الشيخ لا يعرف هذا الزاعم أصلاً؛ إذ هو واحد من ألوف ممن لقوا الشيخ رحمه الله وإلا فهؤلاء الثقات كالعلامة محمد بن إبراهيم شقرة ـ حفظه الله ـ، يؤكد أن: «ذاكرة الشيخ بقيت حاضرة وقوية بالرغم من مرضه».

وأبناء الشيخ وغيرهم ممن كانوا حوله إلىٰ وقت وفاته يؤكدون علىٰ حضور ذهنه، وقوة ذاكرته، وسلامة عقله، وتعلق قلبه بالقرآن والسنة.

ولا أدل علىٰ ذلك من طلبه ـ رحمه الله ـ من ولده أبي عبادة؛ عبد اللطيف إحضار كتابه: «صحيح سنن أبي داود» ـ وهو الذي لم يطبع إلىٰ الآن ـ لينظر فيه شيئًا وقع في قلبه، وورد علىٰ ذهنه وخاطره، وكان ذلك قبل وفاة الشيخ بيومين اثنين فقط.

قلت: قد ذكرتني هذه الحادثة بحادثة أخرىٰ عجيبة؛ فقد أُدخل ـ رحمه الله ـ ذات يوم إلىٰ المستشفىٰ، وأجريت له عملية جراحية، وعندما أفاق من البنج، وَوَجَدَنا حوله، قال بتأثرٍ بالغٍ: ما الذي ابتلاكم بي؟! فقال أحدنا: الأرواح جنود مجندة. فقال الشيخ: (نعم «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف». علقه البخاري من حديث عائشة، ووصله مسلم من حديث أبي هريرة).

طلبه للعلم

وعندما استقر به المُقام في دمشق، ألحقه والده بمدرسة الإسعاف الخيري الابتدائية بدمشق، ثم انتقل في أثناء هذه المرحلة من تلك المدرسة إلى مدرسة أخرى بسوق «ساروجة»، وفيها أنهى الفتى دراسته الأولية.

ثم أخرجه والده من المدرسة؛ إذ كان يرى أن هذه الدراسة النظامية لا فائدة منها، إلا بقدر ما يتعلم الطفل فيها القراءة والكتابة.

ثم وضع له منهجًا علميًا مركَّزًا درس من خلاله الفتى، وتعلم القرآن الكريم، والتجويد، والصرف، وركَّز له على دراسة الفقه الحنفي؛ إذ كان يريده والده فقيهًا حنفيًّا!

كما درس على بعض المشايخ والعلماء من أصدقاء والده.

وكان وَلَعُ الشيخ بالقراءة لا يُوصف، حتى وهو في هذه السن المبكرة، فكان يبحث ويقرأ في أوقات فراغه، وكان في بداية أمره يقرأ في كل شيء، حتى إني سمعته يقول:

«في أول عمري قرأتُ ما يقرأ، ومالا يقرأ».

صنعته

ومن جميل ما صنع به أبوه أن أكسبه حرفة يكتسب منها قُوتَه، فتوجه الفتىٰ في أول أمره إلىٰ النجارة، ثم تركها، وعمل بإصلاح الساعات ـ مهنة والده ـ حتىٰ أتقن هذه المهنة، وصار من حذاقها[1].

واتخذ دكانًا في دمشق من أجل ذلك، وقد رأيت بنفسي هذا الدكان ـ ويعمل به إلىٰ الآن أحد أبناء الشيخ ـ مكتوب عليه بخط لا يكاد يظهر؛ من قدمه: «ساعاتي الألباني». وكان الشيخ قد قسمه إلىٰ قسمين، قسم لتصليح الساعات، وهذا القسم هو واجهة المحل، وقسم آخر ـ وهو القسم الداخلي ـ خصصه الشيخ لوضع كتبه وخلوته!

ولقد رأيت شيخنا ـ رحمه الله ـ ذات مرة في أحد مساجد عمّان، وأقبل عليه القائمون علىٰ المسجد؛ يطلبون منه إصلاح ساعة المسجد، فأقبل إلىٰ الساعة، وبعد ضبطها راقبها لعدة دقائق، ثم قال لهم: «لا أحد يقربها لمدة أسبوع حتىٰ نعرف سبب تقديمها»!.

ثم دخل في نفس الموعد من الأسبوع القادم، وكان أول ما تكلَّم به بعد رؤية الساعة: «من الذي اقترب منها؟» فأكدوا له أنه لم يقترب منها أحد. وأصرّ هو أن أحداً قد حرّك مؤشراتها بعده، فلما أتىٰ خادم المسجد ـ وكان غائبًا ـ اعترف بأنه حرك مؤشرات الساعة!!

---

(١) انظر «جلباب المرأة المسلمة» ص (١٦٩ـ١٧٠)

طلبه لعلم الحديث

يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ وهو إذ ذاك في العشرين من عمره تقريبًا :

«ذات يوم لاحظت بين الكتب المعروضة لدىٰ أحد الباعة جزءًا من مجلة المنار، فاطلعتُ عليه، ووقعتُ فيه علىٰ بحثٍ بقلم السيد رشيد رضا يصفُ فيه كتاب «الإحياء» للغزالي، ويشير إلىٰ محاسنه، ومآخذه، ولأول مرة أواجه مثل هذا النقد العلمي، فاجتذبني ذلك إلىٰ مطالعة الجزء كله، ثم أَمضي لأُتابع موضوع تخريج الحافظ العراقي علىٰ «الإحياء»، ورأيتُني أسعىٰ لاستئجاره؛ لأني لا أملك ثمنه، فاستهواني ذلك التخريج الدقيق، حتىٰ صمَّمت علىٰ نسخه».

وقام الشيخ بنسخ هذا الكتاب، وهو «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» بخطه الحسن الدقيق، ورتّبه ونسَّقه أحسن تنسيق، وهو أول عمل حديثي قام به الشيخ رحمه الله، ومـا يزال في مكتبته إلىٰ الآن، وهو ثلاث مجلدات في أكثر من (٢٠٠٠) صفحة.

ومن هنا ارتبط الشيخ بمجلة المنار، وبما كانت تنشر من بحوث في السنة، وأعجب بها أيما إعجاب، وعلىٰ إثر ذلك جذبه علم الحديث، وأحب كتبه، فأقبل علىٰ دراسة كتب الحديث وتحصيلها بهمة عالية، ووفقه الله عز وجل في ذلك بما حباه به من ذهن وقّاد، ونبوغ ظاهر،

وعقلية علمية نادرة. فكان إذا اكتسب من عمله ما يكفي حاجته، ترك العمل، وأقبل على العلم، وتحول دكانه إلى ملتقى لطلبة العلم.

وسبحان الله! كيف ملك علم الحديث لبّ وفؤاد هذا الفتى، وهو الذي نشأ في بيئة ـ وإن كانت بيئة علم وتدين ـ مذهبية! ومع ما كان يسمع من والده عندما رأى إقباله على هذا العلم:

«يا محمد! علم الحديث صنعة المفاليس»!!

وعندما رأى مؤرخ حلب ومحدثها الشيخ محمد راغب الطباخ نبوغ الفتى، وإقباله على العلم أجازه بمروياته، وهي مذكورة في ثَبَته: «الأنوار الجلية في مختصر الأثبات الحلبية».

وليس من الأسرار أن الشيخ ـ رحمه الله ـ كان يقول عن هذه الإجازة: «هي لا تعني لي شيئًا، وإنما نردّ بها فقط على الحاقدين».

قلت: وهذا عين الحق والصواب، إذ من المعروف أن مثل هذه الإجازات لا تُكسِب أصحابها علمًا ـ شأنها شأن الشهادات النظامية ـ وكلنا يعرف كم من الجهال لديهم عشرات الإجازات، ومع هذا ما زالوا جهالاً.

ولكن المؤكد أن من سيطر الحقد على قلبه لا يقنع بإجازةٍ، بل ولا بعشرات الإجازات، ويغلب على هؤلاء الحاقدين الجمع بين الحقد والجهل، وربما الجبن والتخفي أيضًا، كما في مقال بتاريخ (٢٠/ ٧/ ١٤٢٠هـ) الموافق (٢٩/ ١٠/ ١٩٩٩م).

جَلَدُه في البحث

وهذا أمر بارز جداً في حياة الشيخ ـ رحمه الله ـ وأكتفي هنا بمثالين اثنين :

الأول : قصة الورقة الضائعة .

قال الشيخ ـ رحمه الله ـ في مقدمة «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية المنتخب من مخطوطات الحديث» :

«لم يكن ليخطر في بالي وضع مثل هذا الفهرس ؛ لأنه ليس من اختصاصي ، وليس عندي متسع من الوقت ليساعدني عليه ، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد شيئًا هيّأ أسبابه ، فقد ابتُليت بمرضٍ خفيف أصاب بصري ، منذ أكثر من اثني عشر عامًا ، فنصحني الطبيب المختص بالراحة ، وترك القراءة والكتابة والعمل في المهنة (تصليح الساعات) مقدار ستة أشهر .

فعملت بنصيحته أول الأمر ، فتركت ذلك كلّه نحو أسبوعين ، ثم أخذت نفسي تراودني ، وتزيّن لي أن أعمل شيئًا في هذه العطلة المملة ، عملاً لا يُنافي ـ بزعمي ـ نصيحته ، فتذكرت رسالةً مخطوطةً في المكتبة ، اسمها «ذم الملاهي» للحافظ ابن أبي الدنيا ، لم تطبع فيما أعلم يومئذ .

فقلت : ما المانع من أن أُكلّف من ينسخها لي؟ وحتى يتم نسخها ، ويأتي وقت مقابلتها بالأصل ، يكون قد مضى زمن لا بأس به من الراحة ، فبإمكاني يومئذٍ مقابلتها ، وهي لا تستدعي جهداً ينافي الوضع

الصحي الذي أنا فيه، ثم أحققها بعد ذلك على مهل، وأخرّج أحاديثها، ثم نطبعها، وكل ذلك على فترات؛ لكي لا أشق على نفسي!

فلما وصل الناسخ إلى منتصف الرسالة، أبلغني أن فيها نقصاً، فأمرته بأن يتابع نسخها حتى ينتهي منها، ثم قابلتها معه على الأصل، فتأكدت من النقص الذي أشار إليه، وأُقدّره بأربع صفحات في ورقةٍ واحدة في منتصف الكراس، فأخذت أفكّر فيها، وكيف يمكنني العثور عليها؟

والرسالة محفوظة في مجلد من المجلدات الموضوعة في المكتبة تحت عنوان (مجاميع)، وفي كل مجلدٍ منها على الغالب عديدٌ من الرسائل والكتب، مختلفة الخطوط والمواضيع، والورق لونًا وقياسًا، فقلت في نفسي: لعل الورقة الضائعة قد خاطها المجلِّدُ سهوًا في مُجَلَّد آخر من هذه المجلدات! فرأيتني مندفعًا بكل رغبة ونشاط باحثًا عنها فيها على التسلسل.

ونسيت أو تناسيت نفسي، والوضع الصحي الذي أنا فيه! فإذا ما تذكرته، لم أعدم ما أتعلل به؛ من مثل القول: بأن هذا البحث لا ينافيه؛ لأنه لا يصحبه كتابة ولا قراءة مضنية!

وما كدت أتجاوز بعض المجلدات، حتى أخذ يسترعي انتباهي عناوين بعض الرسائل والمؤلفات، لمحدثين مشهورين، وحفاظ معروفين فأقف عندها، باحثًا لها، دارسًا إياها، فأتمنى لو أنها تنسخ وتحقق، ثم

تطبع، ولكني كنت أجدها في غالب الأحيان ناقصة الأطراف والأجزاء، فأجد الثاني دون الأول مثلاً، فلم أندفع لتسجيلها عندي، وتابعت البحث عن الورقة الضائعة. ولكن عبثًا حتىٰ انتهت مجلدات (المجاميع) البالغ عددها (١٥٢) مجلداً، بيد أني وجدتني في أثناء المتابعة أخذت أسجل في مسودتي عناوين بعض الكتب التي راقتني، وشجعني علىٰ ذلك أنني عثرت في أثناء البحث فيها علىٰ بعض النواقص التي كانت قبلُ من الصوارف عن التسجيل.

ولما لم أعثر علىٰ الورقة في المجلدات المذكورة، قلت في نفسي: لعلها خِيطت خطأ في مجلَّدٍ من مجلدات كتب الحديث، والمسجلة في المكتبة تحت عنوان (حديث)! فأخذت أقلبها مجلداً مجلداً، حتىٰ انتهيت منها دون أن أقف عليها! ولكني سجلت أيضاً عندي ما شاء الله تعالىٰ من المؤلفات والرسائل.

وهكذا لم أزل أُعلل النفس وأُمَنِّيها بالحصول علىٰ الورقة، فأنتقل في البحث عنها بين مجلدات المكتبة ورسائلها من علم إلىٰ آخر؛ حتىٰ أتيت علىٰ جميع المخطوطات المحفوظة في المكتبة، والبالغ عددها نحو عشرة آلاف مخطوط، دون أن أحظىٰ بها!

ولكني لم أيأس بعدُ، فهناك ما يعرف بـ: (الدشت)، وهو عبارة عن مكدسات من الأوراق والكراريس المتنوعة التي لا يُعرف أصلها، فأخذت في البحث فيها بدقة وعناية، ولكن دون جدوىٰ.

وحينئذٍ يئست من الورقة! ولكني نظرت فوجدت أن الله تبارك وتعالىٰ، قد فتح لي من ورائها بابًا عظيمًا من العلم، طالما كنت غافلاً عنه كغيري، وهو أن في المكتبة الظاهرية كنوزًا من الكتب والرسائل في مختلف العلوم النافعة التي خلّفها لنا أجدادُنا رحمهم الله تعالىٰ، وفيها من نوادر المخطوطات التي قد لا توجد في غيرها من المكتبات العالمية، مما لم يُطبع بعدُ.

فلما تبين لي ذلك واستحكم في قلبي استأنفت دراسة مخطوطات المكتبة كلها من أوّلها إلىٰ آخرها، للمرة الثانية، علىٰ ضوء تجربتي السابقة التي سجلت فيها ما انتقيت فقط من الكتب، فأخذت أسجل الآن كل ما يتعلق بعلم الحديث منها، مما يفيدني في تخصصي؛ لا أترك شاردة ولا واردة إلا سجلته، حتىٰ ولو كانت ورقة واحدة، من كتاب أو جزء مجهول الهوية!

وكأن الله تبارك وتعالىٰ كان يَعُدُّني بذلك كله للمرحلة الثالثة والأخيرة.

وهي دراسة هذه الكتب دراسة دقيقة، واستخراج ما فيها من الحديث النبوي مع أسانيده وطرقه، وغير ذلك من الفوائد.

فإني كنت في أثناء المرحلة الثانية، ألتقط نتفًا من هذه الفوائد التي أعثر عليها عفويًا فما كدت أنتهي منها حتىٰ تشبعت بضرورة دراستها كتابًا كتابًا، وجزءًا جزءًا.

ولذلك فقد شمّرت عن ساعد الجد، واستأنفت الدراسة للمرة الثالثة، لا أدع صحيفةً إلا تصفحتها، ولا ورقة شاردة إلا قرأتها، واستخرجت منها ما أعثر عليه من فائدة علمية، وحديث نبوي شريف، فتجمّع عندي بها نحو أربعين مجلداً، في كل مجلّدٍ نحو أربعمائة ورقة، في كل ورقة حديث واحد، معزواً إلىٰ جميع المصادر التي وجدتها فيها، مع أسانيده وطرقه.

ورتبت الأحاديث فيها علىٰ حروف المعجم، ومن هذه المجلدات أُغَذّي كل مؤلفاتي ومشاريعي العلمية، الأمر الذي يساعدني علىٰ التحقيق العلمي، الذي لا يتيسر لأكثر أهل العلم، لا سيّما في هذا الزمان الذي قنعوا فيه بالرجوع إلىٰ بعض المختصرات في علم الحديث، وغيره من المطبوعات!

فهذه الثروة الحديثية الضخمة التي توفرت عندي؛ ما كنت لأحصل عليها، لو لم ييسر الله لي هذه الدراسة بحثًا عن الورقة الضائعة! فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وإن من ثمراتها المباركة: أنني اكتشفت في أثنائها بعض المؤلفات، والأجزاء، والكراريس القيمة التي لم يكن من المعلوم سابقًا وجودها في المكتبة أصلاً، أو كاملةً؛ لذهاب الورقة الأولىٰ ـ وغيرها ـ منها التي بها يمكن عادة الكشف عن هوية المؤلَّف والمؤلِّف، أو لإهمال الناسخ كَتْبَ ذلك علىٰ نسخته من الكتاب، أو غير ذلك من الأسباب التي يعرفها أهل

الاختصاص في دراسة المخطوطات، ولذلك خفيت على (بروكلمن) وغيره من المفهرسين، فلم يرد لها ذكر في فهارسهم إطلاقًا، ولا بأس من أن أذكر هنا بعض المهمات منها مما يحضرني الآن:

١ ـ المستخرج على «الصحيحين» للحافظ سليمان بن إبراهيم الأصبهاني المِلَنْجِي.

٢ ـ «مجمع البحرين في زوائد المعجمين» للحافظ نور الدين الهيثمي.

٣ ـ «الحفاظ» لأبي الفرج ابن الجوزي.

٤ ـ «الكلم الطيب» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٥ ـ «إثبات صفة العلو لله تعالى» لابن قدامة المقدسي.

٦ ـ «تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج» لابن الملقن.

٧ ـ «السنن الكبرى» للنسائي.

٨ ـ «فضائل مكة» للجندي.

وأما الأجزاء والكراريس التي اكتشفتها، وبعضها مما أتممت به بعض الكتب التي كانت ناقصة، أو مجهولة الهوية، فشيء كثير والحمد لله، وإليك بعضها على سبيل المثال:

١ ـ «أحكام النساء» لابن الجوزي.

٢ ـ «الضعفاء» للذهبي.

٣ـ «مسند الشهاب» للقضاعي.

٤ـ «الصلاة» لعبد الغني المقدسي.

٥ـ «تاريخ أصبهان» لابن مندة.

٦ـ «الكلام على ختان النبي ﷺ» لابن العديم.

٧ـ «جزء نعل النبي ﷺ» لأبي اليُمْن ابن عساكر.

٨ ـ «المغازي» لابن إسحاق.

٩ـ صحيح ابن حبان.

هذا، وقد كان هذا الفهرس نتيجة جهد فردي، واندفاع ذاتي من شخص غير موظف في المكتبة، ولا مكلَّف منها، ولذلك لم يكن ليتيسر له ما يلزمه من التسهيلات لمراجعة المخطوطات ودراستها والبحث عن المجهولات من الأجزاء فيها، مثلما يتيسر عادة لمن كان موظفًا في المكتبة، أو مكلفًا من إدارتها، فكان من الطبيعي أن ينالني بعض المشقة في سبيل هذه الدراسة.

فقد أتى عليّ أيام كنت أضطر فيها إلى أن أنصب السُّلَّم فأرقى عليه؛ لأستطيع تناول الكتب المرصوفة على الرفوف العالية، فأقوم عليه ساعات في دراستها في موضعها دراسة سريعة، فإذا اخترت شيئًا منها لدراستها دراسة فحص وتدقيق، طلبت من الموظف المختص أن ينزلها، ويأتي بها إلى المنضدة، بعد تقديمي قائمة بأسمائها وأرقامها وتوقيعها!

ولذلك فإني أظن أنه فاتني الاطلاع على عدد غير قليل من الكتب والرسائل والأجزاء مما يتعلق بمثل هذا الفهرس، فعسى الله تبارك وتعالى أن يسخر من يتابع البحث والتفتيش بدقة ويسر، فيسجل ما قد فاتني، وما كنت تعمدت تركه مما ليس من منهجي، كما سبقت الإشارة إليه، لا سيما وقد ورد إلى المكتبة بعد عملي لهذا الفهرس مجموعات أخرى من المخطوطات، فيفهرس ذلك كله، ويكون كالذيل لهذا، وبذلك يتوفر للمكتبة العامرة فهرس مفصل يحوي كل ما فيها من كتب الحديث الشريف.

وقد يرى القارئ في فهرسي هذا كثيراً من الكتب التي ليس لها علاقة عادة بعلم الحديث، مثل كتب التاريخ، والسيرة، والقراءات، والتفسير وغيرها، فحقها أن تسجل في فهارس خاصة بها، فعذري في تسجيلها فيه أنني كنت أحتاج الرجوع إليها كثيراً، لا سيما وأكثرها شديد الصلة بعلم الحديث الذي هو اختصاصي، فسجلتها فيه تيسيراً لعملي، وتوفيراً لوقتي».

الثاني: قصة زيادات القطيعي في «المسند».

في أحد المجالس التي تجمع طلاب العلم قبل سنوات عدة دار البحث حول كتب الحديث والسنة، وهمة الحفاظ والأئمة السابقين في تحصيل هذه المصنفات، قراءة ورواية وسماعًا وحفظًا.

فقال أحد الحاضرين: أنا لا أظن أن أحداً في هذا العصر قرأ «مسند

الإمام أحمد» ولو مجرد قراءة فقط.

فقلت: كيف؟ وأنت لا تشك معي أن الطابع قد قرأ الكتاب عند تنضيد حروفه؟!! فكم مرة يكون قد قرأه المصحح؟! وأيضًا هذا الشيخ أحمد البنا ـ رحمه الله ـ لا شك أنه قرأه أكثر من مرة عند طبع كتابه «الفتح الرباني»، وعندما رأيت ذلك القائل قد أيقن بخطأ ما قال. قلت له وللحاضرين: فاسمعوا الآن ما قد سمعناه من شيخنا حول قراءته للمسند من أجل الوقوف بنفسه على حقيقة زيادات القطيعي.

إذ قرأ الشيخ كتاب «الفتح الرباني». وأتى عليه حديثًا حديثًا؛ وذلك لجزم البنا ـ رحمه الله ـ بزيادات للقطيعي في «المسند»، وأنه قد ميزها كما ذكر في مقدمة كتابه برمز (قط) وبعد أن استخرج الشيخ هذه الأحاديث، وهي بضعة عشر حديثًا، أجرى عليها دراسةً دقيقةً، فتبين له أن البنا رحمه الله أخطأ فيها جميعًا، والصواب أنه ليس فيها شيء من زيادات القطيعي.

ثم لم يقنع الشيخ بذلك، وأقبل على «المسند» ودرسه إسنادًا إسنادًا، مبتدئًا في ذلك بطبعة الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ ومتممًا الكتاب بالطبعة الأصلية للمسند، إذ الشيخ أحمد شاكر رحمه الله لم يكمل تحقيق المسند، وبعض مجلدات الكتاب قرأها أكثر من مرة، ومع كل ذلك لم يجد شيخنا شيئًا من زيادات القطيعي.

ولكن الشيخ لم يقنع بذلك!! بل رجع إلى «مجمع الزوائد»

للحافظ الهيثمي، وأتى عليه حديثًا حديثًا، وخلص من بحثه في الكتاب ودراسته لأحاديثه أنه لا توجد زيادات للقطيعي في «مسند الإمام أحمد».

فعجب الحاضرون من هذه القصة.

فقلت: هذه القصة ذكرها الشيخ، وهي مسجلة في بعض مجالسه، فضلاً عن ذكرها في كتاب عنده باسم: «الذب الأحمد عن مسند أحمد». هذا مجمل ما دار في ذلك المجلس آنذاك.

والآن أقول: قد كان بحث الشيخ ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ بناء على استفسار من العلامة الإمام ابن باز ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ عن وجود زيادات للقطيعي في «المسند».

فانظر ـ رحمك الله ـ إلى الجلد في البحث، والاستقلالية، وعدم التقليد، فمن أجل هذه الجزئية والتي لو صحت ما ضر ذلك «المسند» في شيء، ولكن من أجل ذلك تميز شيخنا على غيره.

وانظر ـ رحمك الله ـ إلى تبجيل ابن باز للألباني، واعترافه له بالعلم، وانظر إلى مسارعة الألباني في الإجابة لطلب ابن باز.

و لكن ليس في هذا غرابة، فهذا شأن علماء السنة في كل عصر ومصر، فرحم الله إمامي العصر، وأعلى الله درجتهما، وأسبغ عليهما واسع مغفرته ورضوانه، وحشرنا وإياهم تحت لواء نبيه محمد ﷺ، ونسأله سبحانه وتعالى أن يخلف على الأمة بخير.

حفاظه على الوقت

لم أر مثل الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ في الحرص على الوقت، فقد كان لا يضيع شيئًا من وقته في غير فائدةٍ.

فإما أن يقضي وقته في طلب العلم، والاشتغال به، أو في التصنيف، والتخريج، والتحقيق، أو في الدعوة إلى الله، أو في العبادة وذكر الله عز وجل.

فكان ـ رحمه الله ـ يقضي ثماني عشرة ساعةً في مكتبته، وبين كتبه ومراجعه!

ومن نظر في هذا الكم الهائل من المصنفات التي تركها الشيخ، مخطوطة ومطبوعة، ومن خلال أشرطته المسجلة، والتي زادت على الستة آلاف شريط ـ حسب تسجيلات أخينا الفاضل محمد آل أبي ليلى الأثري، سوى ما سجل غيره، وسوى ما كان في غير عمّان ـ عَلِمَ مدى حرص الشيخ على وقته، ومحافظته عليه.

وهو مع هذا كانت له دروس علميّة كثيرة، ورحلات في الدعوة، ومناظرات لأهل البدع والمخالفين، مع لزومٍ للسنة، وعبادةٍ.

فكان وهو في الشام ـ فضلاً عن مهنته، ودروسه ومحاضراته ـ يقضي في المكتبة الظاهرية كل يومٍ ما بين ست ساعات وثماني ساعات.

فلقد بارك الله عز وجل له في وقته، ووفقه للمحافظة عليه، والأمثلة ـ غير ما تقدم ـ كثيرة شاهدة على ذلك

* فمثلاً كتاب «أحكام الجنائز وبدعها» هذا الكتاب الرائع البديع الذي لم يُصنف مثله، مع حسن ترتيب، ومتانة أسلوب، وقوة تصنيف، ودقة بحث، لم يستغرق تصنيفه من الشيخ رحمه الله سوىٰ ثلاثة أشهر، وهو الكتاب الذي يعجز عن تصنيف مَثِيله جماعة، ولو في أضعاف المدة التي صنفه الشيخ فيها، واستمع إلىٰ الشيخ، وهو يصف قصة تأليف الكتاب، فيقول:

«طلب مني بعض الأعزاء بمناسبة وفاة إحدىٰ قريباته يوم الجمعة الواقع في ١١ ربيع الآخر سنة (١٣٧٣هـ)، أن أضع رسالةً مختصرةً في «آداب الجنائز في الإسلام»؛ ليقوم هو أو غيره بطبعها، وتوزيعها علىٰ المجتمعين للتعزية في أيامها المعتادة عندهم، مغتنمًا فرصة اجتماعهم؛ لتعريفهم بسنة نبيهم، حتىٰ يستنوا بها، ويهتدوا بهديها، ويستنيروا بنورها.

ومع أنني كنت قد باشرت تأليف بعض المصنفات الأخرىٰ، فقد وعدته خيراً؛ لما في ذلك من التعاون علىٰ إحياء السنة، وإماتة البدعة، فسارعت إلىٰ تحقيق رغبته، وإنجاز طِلْبته.

ولكني ما كدت أشرع في ذلك حتىٰ تبين لي أن الأمر أبعد من أن يتحقق بتلك السرعة، وأوسع من أن يُجمع في رسالةٍ توزع علىٰ الناس في مثل تلك المناسبة؛ ذلك لأن آداب الجنائز وأحكامها كثيرةٌ جداً، وقسمٌ كبيرٌ منها مما اختلفت فيه أقوالُ العلماء، وتضاربت حولَه الآراء،

فمنهم من يُحَرِّم شيئًا، والآخرُ يُبيحه، ومنهم مَن يوجب شيئًا والآخر لا يُجيزه، ومنهم مَن يراه سنةً، وآخر يراه بدعةً.. وهكذا. كما هو الشأنُ في كثيرٍ من المسائل الأخرىٰ، في أكثر أبواب الشريعة مصداقًا لقولِ الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾.

لذلك كان لابدّ قبل كل شيء من جمع مفردات مسائل الجنائز، ثم دراستها دراسةً دقيقةً، وتتبُّع أدلة المختلفِ عليه منها، ونقدها علىٰ ضوء عِلْمَي: «أصول الحديث» و«أصول الفقه»، واختيار الراجح منها، دون أي تحيُّز لمذهب معين، أو تأثر بعادةٍ سيطرت حتىٰ صارت كأنّها دينٌ يجب أن يُتّبع!

ومما لا يخفىٰ علىٰ أهل العلمِ الذين مارسوا التأليف أن تحقيق مثل هذا العمل، يتطلّب سعيًا حثيثًا، وجهدًا بليغًا، وصبرًا جميلاً، وزمنًا مديدًا، وبعد إنجازه يمكن تأليف الرسالة المطلوبة بصورةٍ تطمئنُّ إليها النفسُ، وينشرحُ لها الصدرُ، ويعظمُ بها النفع.

لذلك فقد ذكرتُ للأخ المشار إليه خلاصةَ هذا معتذرًا، فقبل عذري جزاه الله خيرًا، ولكنه عاد يطلب مني الشروع في هذا العمل، وحضّني عليه، وبالغ فيه راجيًا منه خيرًا كثيرًا.

فاستخرتُ الله تعالىٰ، وانكببتُ علىٰ الدراسة والمراجعة قُرابة ثلاثة أشهر، أعملُ فيها ليلاً نهارًا، إلا ما لا بدّ منه من العمل في مهنتي، والنوم الذي لا غنىٰ عنه لراحة جسمي، حتىٰ تمكنت من إعدادِ الكتاب»

وقصة أخرى:

تدل على حرصه على الوقت، وقد ذكرها هو ـ رحمه الله ـ أنقلها هنا، إذ يقول: «قدر الله عليّ أن أسجن في عام (١٣٨٩هـ) الموافقة لسنة (١٩٦٩م) مع عدد من العلماء من غير جريرةٍ اقترفناها سوى الدعوة إلى الإسلام، وتعليمه للناس، فأُساق إلى سجن القلعة وغيره في دمشق، ثم أفرج عني بعد مدةٍ لأساق مرة ثانية، وأُنفى إلى الجزيرة؛ لأقضي في سجنها بضعة أشهر أحتسبها في سبيل الله عز وجل.

وقد قدّر الله أن لا يكون معي فيه إلا كتابي المحبب: «صحيح الإمام مسلم» وقلم رصاص، وممحاة!

وهناك اعتكفتُ على تحقيق أمنيتي في اختصاره وتهذيبه، وفرغت من ذلك في نحو ثلاثة أشهر، كنت أعمل فيه ليل نهار، ودون كللٍ ولا مللٍ، وبذلك انقلبَ ما أراده أعداءُ الأمة إنتقامًا منّا إلى نعمةٍ لنا، يتفيأ ظلالها طلاب العلم من المسلمين في كل مكان. فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات».

ويقول الشيخُ عن هذا المختصر بعد أن بيّن أنه اختصره اختصاراً علميًا دقيقًا.

«ومن المؤسف أن مختصري هذا في حُكم المفقود، ولا أدري إذا كان قد استعاره أحدٌ مني؛ لدراسته، وتهيئته للطبع! ثم جاءت صوارف الدهر ـ وما أكثرها في هذا الزمان ـ فأنستني إياه، والله المستعان، وهو

المسئول أن يجمعنا به عمّا قريبٍ بمنه وكرمه ، وقد قيل :

ستُبدي لك الأيامُ ما كنت جاهلاً

ويأتيك بالأنباءِ من لم تزوّد» .

وهكذا كان ـ رحمه الله ـ يستفيد بوقته على أي وجهٍ كان ، وفي أيّ حالٍ كان ، ففي مرضه الذي توفي فيه ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ بدأ يعمل في كتابه : «تهذيب صحيح الجامع الصغير والستدراك عليه» . وكان يقول : «هذا مشروع اقترحه عليّ عجزي ومرضي» .

ولما اشتد عليه المرض ـ رحمه الله ـ ولزم الفراش ، قال لأبنائه : احملوني إلى المكتبة ، فلما حملوه وأدخلوه إليها ، قال لهم : أجلسوني على الكرسي؟! قالوا : لا تستطيع الجلوس . قال : وأيش العمل؟!

ولم يقنع في أن يستريح ، أو يريح جسده ، بل كان وهو في فراشه يطلب الكتب ، ويُقرأ عليه منها ، ثم يُملي ما يريد .

وعندما عجز عن الحركة في أيامه الأخيرة ـ رحمه الله ـ كان لا يفتر عن ذكر الله عز وجل ، ويقول لمن حوله : «أنا أستغلّ وقتي في ذكر الله عز وجل» . وهذا ـ إن شاء الله ـ من توفيق الله عز وجل له ؛ إذ يقول ﷺ :

«خير العمل أن تُفارق الدنيا ، ولسانُك رطبٌ من ذكر الله» . «الصحيحة» (١٨٣٦) .

وهكذا العظماء ، والكبراء ، وأصحاب الهمم العالية

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر

لقد كان رحمه الله آمراً بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، لا يخشىٰ في الله لومة لائم، ومن لازمه ـ ولو لوقت قصير ـ يلاحظ ذلك، بل من سمع اشرطته، أو قرأ كتبه وجد هذا الجانب بارزاً عنده رحمه الله، بل لا يكاد يضاهيه أحد في ذلك.

* شاهدته ذات مرة ـ وهو مريضٌ ـ ودخل عليه أحد المعالجين وكان حليق اللحية، وبعد أن أعطىٰ الدواء للشيخ، وهمّ بالانصراف. قال: ادع الله لي يا شيخ. فقال رحمه الله: جَمَّلك الله بما جَمّل به الرجال.

* وكنا ذات يوم في محاضرةٍ له بأحد المنازل، وكان صاحب الدار إذا دخل أو خرج لم يلق السلام ظنًا منه أن ذلك مما يشوش علىٰ الدرس! فأقبل عليه الشيخ وسأله: لماذا لا يسلم إذا دخل وإذا خرج؟ وتحولت المحاضرة إلىٰ أدب السلام عند الدخول وعند الخروج، وآداب الاستئذان، ونحو ذلك.

* رأىٰ رجلاً يأكل بشماله، فقال له: لا تأكل بشمالك؛ فإن الشيطان يأكل بالشمال. ثم سرد الأحاديث في ذلك.

* صلىٰ ذات يوم صلاة الجمعة، فذكر الخطيب من جملة ما ذكر حديث: «المؤمن للمؤمن كالبنيان [المرصوص] يشد بعضه بعضًا». فزاد فيه لفظ: «المرصوص».

فبعد أن انتهت الصلاة قام الشيخ وأقبل على الملأ، وبيّن عدم وجود هذا اللفظ في رواية الحديث، وحضّ على رواية الأحاديث كما جاءت دون زيادةٍ.

فكان والله تعقيبه أفضل من خطبة الإمام.

* وكان إذا حجّ أو اعتمر لا يكف عن أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر، حتى وهو في طوافه، وفي سعيه، فكثيراً ما كان يأمر من كشفوا عواتقهم - في غير طواف القدوم - بسترها.

ولعله من المفيد هنا أن أنقل رأي الإمام الألباني - رحمه الله - حول «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وما يتعلق بذلك من ضوابط، ومراعاة المصالح والمفاسد؛ وذلك لما ينم عن فقه دقيق، ورأي سديد، يزيد ذلك كله أهمية صدوره عن إمامٍ في هذا الباب، لا ريبة ولا شبهة في محاباته لأحدٍ - حكامًا ومحكومين -

عسى الله أن يهدي بسبب كلمته هذه شبابًا في كثير من البلدان الإسلامية، هم أحوج ما يحتاجون إلى علمٍ صحيحٍ من عالم رباني، ولعلهم يجدونه في كلام الإمام الألباني:

قال - ما ملخصه - رحمه الله:

«تكررت الآيات الكريمة في كلام الله عز وجل آمرة أن تكون هناك أمة وجماعة تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا أمر لا خلاف فيه بين المسلمين قاطبة.

وإنما قد يكون الخلاف في تطبيق هذا الأمر الواجب؛ لأن كثيراً من المسلمين الذين أوتوا حظًا ولو قليلاً من العلم، يظنون أن مجرد المعرفة بأمرٍ مما يجب تغييره يبادرون إلى تغييره دون أن يفكروا بعاقبة هذا التغيير .

ولكن ينبغي أن يلاحظ القائمون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على اختلاف مناهجهم ودعواتهم ما يلي :

أولاً :أن العلم يسبق العمل .

ثانيًا :أن العلم يقتضي العمل ، وإلا كان العلم وبالاً على صاحبه .

فإذا كان هذا معروفًا لدى كافة طلاب العلم فضلاً عن العلماء، فإنه ينبغي أن يكون قائمًا في أذهانهم، غير غائب عن بالهم ما يلي :

ثالثًا :قد تقتضي مصلحة الدعوة (مصلحة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر) تأجيل اقتران العمل بالعلم .

وإن كان الأصل أن يتبع العلمَ العملُ ، لكن هذه القاعدة ليست مضطردة، ففي بعض الأحيان قد توجب المصلحة الشرعية تأجيل العمل وتأخيره عن العلم .

ومن أوضح الأمثلة الثابتة في السنة المطهرة على ذلك، هو حديث عائشة رضي الله عنها، وقول النبي ﷺ لها :

«يا عائشةُ! لولا أنَّ قوْمكِ حديثو عهدٍ بشركٍ، [وليسَ عِندي من النَّفَقَة ما يقوِّي على بِنائِه]؛[لأنفقْتُ كَنْزَ الكعْبَةِ في سبيلِ الله، و] لهدَمْتُ

الكعبةَ، فألْزقتها بالأرض، [ثمَّ لَبَنَيْتُها على أساس إبراهيمَ]، وجَعَلْتُ لهـا بَابَيْنِ [مـوضـوعين في الأرض]؛ بابًا شـرقيًّا [يدخل الناس منهُ]، وبابًا غـربيًّا [يخرُجـونَ منهُ]، وزِدْتُ فيـهـا سـتَّةَ أذرُعٍ من الحِجْرِ (وفي روايةٍ: ولأدْخَلْتُ فيها الحِجْرَ)؛ فإنَّ قريشًا اقتصرَتْها حيثُ بنَتِ الكعبةَ، [فإنْ بَدا لقومِكِ من بَعْدي أن يَبْنوهُ؛ فهَلُمِّي لأريكِ ما تركوا منهُ، فأراها قَريبًا من سبعةِ أذرُعٍ]).

(وفي روايةٍ عنهـا، قـالت: سـألتُ رسـولَ الله ﷺ عنِ الجـدْرِ (أيْ: الحِجْرِ)؛ أَمِنَ البيتِ هُو؟ قالَ: «نعم». قلتُ: فَلِمَ لم يُدْخِلوهُ في البيتِ؟ قالَ: «إنَّ قومَكِ قصرَّتْ بهمُ النَّفَقَةُ». قلتُ: فما شأنُ بابِهِ مرتَفِعًا؟ قال: «فَعَلَ ذلك قومُكِ ليُدخلوا من شاؤوا، ويَمْنَعوا من شاؤوا (وفي رواية: تعـزُّزًا أن لا يـدخلهـا إلا من أرادوا، فكان الرَّجل إذا أراد أن يدخـلهـا يدعـونه يرتـقي؛ حتى إذا كـاد أن يدخل؛ دفـعـوه، فـسـقَطَ)، ولولا أن قومكِ حديثٌ عهدهم في الجاهليَّة، فأخافُ أن تُنْكر قُلوبُهُم؛ لنظرت أن أدخلَ الجدرَ في البيتِ، وأن ألزقَ بابَهُ بالأرْضِ»).

[فلمَّا مَلَكَ ابن الزُّبير هَدَمَها، وجعل لها بابَيْنِ] (وفي روايةٍ: فذلك الذي حَمَلَ ابنَ الزُّبير على هدمِهِ. قال يزيدُ بنُ رومانَ: وقد شهدتُ ابنَ الزُّبيرِ حين هَدَمَهُ، وبَناهُ، وأدْخَلَ فيهِ الحِجْرَ، وقد رأيْتُ أسـاسَ إبراهيمَ عليه السلامُ حِجارةً مُتلاحمةً كأسنِمَةِ الإبلِ مُتلاحِكَةً)[1].

---

(١) الحديث رواه الشيخان، وغيرهما، وقد آثرت ذكره من «الصحيحة»(٤٣) وذلك لحسن سياق شيخنا رحمه الله للحديث برواياته وزوائده. =

فأبقى ﷺ بناء الكعبة على ما بناه عليه المشركون في الجاهلية، ولم يُعِدْهُ سيرته الأولى على قواعد إبراهيم ﷺ، مع قدرته ﷺ وتمكنه.

وخاصة بعد أن فتح الله عز وجل له مكة؛ خشية أن يترتب من وراء هذا الإصلاح الواجب فتنة لبعض الضعفاء من المؤمنين حديثي العهد بالإسلام، فقد نظر ﷺ إلى عاقبة الأمر.

ومن حديث عائشة هذا أخذ العلماء والفقهاء تلك الحكمة المستنبطة ألا وهي قولهم: «من كان آمرًا بالمعروف، فليكن أمره بالمعروف».

ولا يكون الأمر بالمعروف معروفًا إلا إذا كانت المصلحة من الأمر بالمعروف راجحةً على المفسدة.

ولذلك نحن نقول: إنه لا ينبغي لبعض الأفراد أو الجماعات القيام ببعض الأعمال التي تدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون ملاحظة القاعدة المذكورة آنفًا.

ولا ينبغي لبعض الأفراد أو الجماعات الإقدام على التغيير، إذا ترتب من وراء ذلك مفسدة أكبر من المصلحة المرجوة.

وما نسمع عنه في كثير من البلدان الإسلامية، من قيام بعض الجماعات أو الأفراد بمثل هذا الذي ندندن حوله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن بطريقة غير حكيمة، بحيث تكون مفاسدُ التغيير

=ثم ذكر من فقه الحديث: «أن القيام بالإصلاح إذا ترتب عليه مفسدة أكبر منه؛ وجب تأجيله، ومنه أخذ الفقهاء قاعدتهم المشهورة: دفع المفسدة قبل جلب المصلحة».

أكثرَ من الصلاح الذي يرجونه، هو نتيجةُ الإعراض عن هذه الحكمة، لا سيما وربنا عز وجل حينما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرن ذلك بالحكمة، والموعظة الحسنة.

من أجل ذلك نحن ندندن دائمًا وأبدًا، وننصح هؤلاء في كل بلدٍ أن يستنوا بسنة النبي ﷺ في الإصلاح، حيث أنه لم يبدأ الدعوة إلى الإسلام وإلى الإيمان والتوحيد بالقوة، وإنما باللسان والحجة والبينة.

من أجل ذلك قال الله تعالى: ﴿ادعُ إلى سَبِيلِ ربِّك بالحكمَةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادِلْهم بالتي هي أحسنُ﴾.

ولهذا نحن ننكر بشدة استعمال بعض الجماعات أو الأفراد القوة.

أو ما نسمعه بين آونةٍ وأخرى من قيام بعض الناس بالتكسير أو بالتحطيم لبعضِ الأمور المنكرة شرعًا، وهم بعدُ لَمَّا يؤسسوا لهذه الدعوة أُسسها، ولَمَّا يضعوا لها قواعدها.

فهؤلاء - في اعتقادي - يصدق عليهم الحكمة التي تكلم بها بعضهم ألا وهي: «من استعجل الشيء قبل أوانه ابتلي بحرمانه».

ونحن نعرف أنه من الأمور المنكرة شرعًا اليوم انتشار آلات المعازف والطرب، ونقرأ أقوالاً لبعض أئمة السنة والفقه، وأخصّ بالذكر منهم إمام السنة أحمد بن حنبل رحمه الله، الذي يقول بتكسير هذه الآلات، ولكنه يقيد ذلك بالاستطاعةِ، وعدم جلب المفسدة[1].

---

(١) انظر «كتاب الورع» رقم (٤٩٩ وما بعده).

وخلاصة القول في هذه المسألة، هو:

الأصل الأول فيها الآية المذكورة: ﴿ادعُ إلىٰ سَبِيلِ ربِّكَ بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ولا شك أن من أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

ثم حديث عائشة الذي يبين لنا أنه لا يجب تغيير كل منكر، أو تحقيق كل معروف، إلا إذا لم يخش من وراء ذلك مفسدة كبرىٰ.

وأسأل الله عز وجل أن يلهم المسلمين ـ حكاماً ومحكومين ـ أن يلتزموا كتاب الله، وسنة الرسول ﷺ، وأن يعودوا إلىٰ ما كان عليه السلف الصالح من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتي هي أحسن» انتهىٰ ملخصاً.

ناصر السنة

لقد كان الشيخ ناصر ـ رحمه الله ـ واحداً من كبار العلماء العاملين بعلمهم، لم نر مثله في اتباعه للسنة، فهو أحد المجددين بحقٍّ، إذ كان الشيخ ـ رحمه الله ـ من فحول علماء السنة الناصرين لها، المتبعين لها، المميزين لصحيحها من سقيمها، الرافعين لِواءَها، فكان ـ نحسبه كذلك، ولا نزكي على الله أحداً ـ كما قال الله عز وجل: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾.

إذ كان شديد الاتباع للنبي ﷺ، بل كان شديد الفرح بكل متبع للنبي ﷺ، كان لا يُقَدِّمُ قول أحد كائنًا من كان على كتاب الله عز وجل، ولا على سنة النبي ﷺ، مع عودةٍ بالكتاب والسنة إلى فهم السلف الصالح، وكان هذا القيد أحد ركائز دعوته المباركة.

وكتبه ـ رحمه الله ـ تدل على شدة اتباعه للسنة ونصرته لها، بما لا يدع مجالاً للشك في ذلك.

واكتفي هنا بنقلٍ واحدٍ عنه في بيان تعظِيمه للسنة، ونصرته لها، يقول

«إني حين وضعتُ هذا المنهج لنفسي ـ وهو التمسك بالسنة الصحيحة ـ وجريت عليه في كُتبي، كنت على علمٍ أنه سوف لا يرضي ذلك كل الطوائف والمذاهب، بل سوف يوجه بعضُهم أو كثيرٌ منهم ألسنةَ الطعن، وأقلام اللوم إليّ، ولا بأس من ذلك عليّ؛ فإني أعلمُ أيضًا أنّ إرضاء الناس غاية لا تدرك، وأن: «من أرضى الناسَ بسخطِ الله

وكَلَهُ الله إلى الناس». كما قال رسولُ الله ﷺ.

ولله درّ مَن قال:

ولستُ بناجٍ من مقالة طاعنٍ ولو كنت في غارٍ على جبلٍ وَعْرِ
ومَن ذا الذي ينجو من الناسِ سالِمًا ولو غاب عنهم بين خَافيتيْ نَسْرِ

فحسبي أنني مُعتقد أن ذلك هو الطريق الأقوم الذي أمر الله تعالى به المؤمنين، وبيّنه نبينا محمدٌ سيد المرسلين، وهو الذي سلكه السلفُ الصَّالح من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، وفيهم الأئمة الأربعة - الذي ينتمي اليوم إلى مذاهبهم جمهورُ المسلمين - وكلهم متفق على وجوب التمسك بالسنة، والرجوع إليها، وترك كل قول يخالفها، مهما كان القائل عظيمًا، فإن شأنه ﷺ أعظم، وسبيله أقوم».

ولا يخفى على أحدٍ ما بذله الشيخُ - رحمه الله - من جهودٍ لنشر سُننٍ كانت مهجورة، من ذلك: صلاة العيدين في المصلّى، وصلاة التراويح (قيام رمضان) بعدد ركعاتها وصفاتها، وخطبة الحاجة، وكثير من صفة الصلاة؛ كتسوية الصفوف، واتخاذ السترة، والتأمين، والخرور للسجود، وتحريك الإصبع في التشهد... وغير ذلك.

ومن ذلك أيضًا كثرة تطوعه وتنفله قبل صعود الخطيب يوم الجمعة، والإقبال على الخطيب وقت الخطبة.

وغير ذلك من السنن التي كانت أميتت في كثير من بلاد المسلمين، والتي لو قام أحد بجمعها وذكر أدلتها، لجاءت في كتاب لطيف.

عبادته وزهده وورعه وتواضعه

جمع شيخنا الإمام رحمه الله تعالىٰ بين العلم والعمل، فكان مثالاً للعالم العامل، كان رحمه الله صوّامًا قوامًا، ناصراً للسنة

* من يوم أن عرفته ـ وقد كان أيضًا قبل ذلك ـ لا أعلم أنه فرط في صوم يوم الاثنين والخميس صيفًا وشتاءً، إلا أن يكون مسافرًا أومريضًا.

* كان ـ رحمه الله ـ إذا دخل المسجد يوم الجمعة لا يزال يصلي ركعتين ركعتين حتىٰ يصعد الإمام.

* وكان ـ رحمه الله ـ يعتمر ويحج كل عام ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلاً، وربما اعتمر في السنة الواحدة مرتين، وقد حج أكثر من ثلاثين حجة.

* وكانت آخرَ حجَّةٍ له عام (١٤١٠)هـ، وقد رافقته في هذه الحجة، وهذا من فضل الله عز وجل.

وفي يوم عرفات وبعد الزوال أتيته ـ وهو يدعو ـ بولدي همام ـ وله من العمر حينذاك ثلاث سنوات ـ وقلت له: يا شيخنا! هذا ولدي، وأحب أن تدعو له.

فدعا له رحمه الله رحمة واسعة، وإني لأرجو إجابة دعائه

* كم من مرة بكىٰ الشيخ، وهو يسوق حديث النبي ﷺ: «أول من تسعر بهم النار...»

* رآه رجل ذات مرة ـ وهو جالسٌ في السيارة ـ فاندفع نحوه، وقال له: أنت الشيخ الألباني؟ فما كان من الشيخ إلا أن بكىٰ، ولما سئل عن سبب بكائه؟

قال: ينبغي للمرء أن يجاهد نفسه، وأن لا يغتر بإشارة الناس إليه.

* قال له الشيخ محمد بن إبراهيم شقرة في مرضه الذي توفي فيه: «إن العظيم لا يكون بلاؤه هينًا خفيفًا، إن العظيم يكون بلاؤه علىٰ قدر عظمته، وأنت يا شيخنا عظيم، عظَّمك الله تبارك وتعالىٰ بما وهبك من علم وفقه، فكان البلاء علىٰ قدر ما أولاك الله من عظمةٍ في نفسك، وبما أولاك من علمٍ».

فتبسم ـ رحمه الله ـ وسقطت حبَّاتٌ من الدمع علىٰ وجهه، وهو يسمع مثل هذا الكلام، ثم قال الكلمة التي طالما كنا نسمعها منه إذا امتُدحَ أو ذُكِرَ بشيء من الثناء: اللهم اغفر لنا مالا يعلمون، واجعلنا خيراً مما يظنون، ولا تؤاخذنا بما يقولون».

* قلت: ومن استمع إلىٰ شريط رقم (٦٤٠) بترقيم أخينا أبي ليلىٰ لا بد وأنه سيتأثر ببكاء الشيخ في أوله، وعنوان الشريط: «دعوتنا».

* وهذه إحدىٰ الأخوات من (دولة الجزائر) اتصلت به ذات يوم، وقالت له: يا شيخ! عندي بشرىٰ.

قال: بشَّركِ الله خيراً.

قالت: عندي إحدىٰ الأخوات رأت رؤيا، وسأقصها عليك.

قال: خيراً رأتْ.

قالت: يا شيخ! هل يثبت هذا، إذا أتى أحد يقص عليك الرؤيا، فتقول: خيراً رأيت وخيراً يكون؟ هل هذا ثابت في السنة؟[1]

قال: لا. ليس ثابتًا، ولكن لا بأس من استعمال ذلك أحيانًا.

قالت: هذه الأخت رَأَتْ نفسها على شرفة تطل على طريق، وعلى ذلك الطريق رأتِ الرسولَ ﷺ بصفاته، ثم رأتني واقفةً أمام الرسول ﷺ، ورأتِ الرسولَ ﷺ يتبسّم لي، وأنا أتبسم إليه. ثم ناديتُها، وقلت لها: انزلي. انزلي معنا، فلما نزلت سألتني: إلى من تنظرين؟ فقلت لها: انظري إلى الذي انظر إليه، فرأت الرسول ﷺ، ثم تبسّم الرسولُ ﷺ، ثم مضى في تلك الطريق. ثم مشينا معًا في تلك الطريق (الأخت وإياي) وحين كنا نمشي رأينا شيخًا على تلك الطريق، فسلّمنا عليه. قُلنا: السلام عليكم. فردَّ علينا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ثم سَأَلَنَا هذا الشيخُ: هل رأيتم الرسولَ ﷺ؟ فقلنا: نعم رأيناه.

فسألتني الأختُ: من هذا الشيخ؟

فقلت لها: هذا الشيخ الألباني».

---

(١) وهذا السؤال من هذه السائلة فضلاً عن دلالته من حرص هذه السائلة على السنة، إلا أن دلالته الكبرى هي الثقة التامة في اتباع هذا الإمام للسنة في كل كبيرة وصغيرة من أفعاله وأقواله، حتى غدت أفعاله وأقواله كأنها دليل على السنة، وما كانت هذه الصورة عنه ـ رحمه الله ـ من فراغ، ولكنها نتيجة طبيعية لما عرف عنه من الاتباع. وهو أيضًا سؤال واستفسار دال على التأثير الذي أحدثه الإمام ـ رحمه الله ـ في عقول الأمة؛ رجالها ونسائها، وهو السؤال عن الدليل في كل شيء، بل والسؤال عن صحة الدليل.

ثم قالت المتصلة: أسأل الله أن يجْعلَها بشرىٰ لك يا شيخ، وأحببت أن أبشِّرك يا شيخ، فلعلها بشرىٰ إن شاء الله؛ أنك علىٰ طريق السنة إن شاء الله تعالىٰ، فما تقول يا شيخ؟

وهنا لم يقل الشيخ شيئًا، وإنما ذرفت دموعه، وبكىٰ بكاء حارًا، وقطع الاتصال، ثم طلب ممن بحضرته من الإخوان أن ينصرِفوا.

* اجتمعت ذات يوم في عمّان ببعض طلاب العلم، وكالعادة في مثل هذه المجالس ذُكِر الشيخُ، وإذا بأحد الحضور يحمل علىٰ الشيخ حملة شعواء؛ لاختلافِ المنهج، ولم أشعر بجدوىٰ مناقشة الرجل؛ لعدم إنصافه **أولاً**.

وثانيًا: لغضبه الشديد الذي أخرجه عن حدِّ الاعتدال.

فقلت له: إذا كنت ترىٰ الشيخ بهذه الصورة ـ وهو ليس كما ترىٰ ـ فلماذا لا توجه له النصح مباشرةً، فهو خير من غيبتك له، ووقيعتك فيه؟

فقال: الألباني لا يقبل النصيحة.

فقلت: هل جربت؟

فقال: أنا لم أره قط، ولكن هذا متواتر عنه.

فقلت في نفسي: سبحان الله! هذا رجل تأثر كل هذا التأثر بمشايخه دون أن يبحث هو عن الحق، أو أن يلتقي بالشيخ، وهما في بلدٍ واحدٍ، ومضىٰ عليهما سنوات عدة!!

ثم كان أن رتبتُ أمسية علميّة مع الشيخ في بيتي، ودعوت جمعًا من طلاب العلم، ومنهم ذاك المخالف في ذلك الوقت، ولم أُعْلِم الشيخ بشيءٍ من ذلك، واستأثر صاحبُنا بأغلب المجلس، وناقش الشيخ، وجادله، وعلا صوتُه واحتدَّ، حتى إنني بدا عليّ الغضب والإحراج، ولما عرف ذلك الشيخ في وجهي التفت إليّ مبتسمًا، قائلاً: «لا عليك» ووالله لم تفارق البسمة وجه الشيخ، وما زال يرد عليه بالحجة من الكتاب والسنة، مع طول بالٍ، وسعة صدر كعادته رحمه الله[1].

وفي نهاية المجلس قام الرجل، وقال للشيخ: أنا أحمد الله عز وجل أنك تغيرت، وأنني لقيتك بعد هذا التغير؟

فقال الشيخ: وهل أنت التقيت معي قبل اليوم؟!

فقال الرجل: لا.

فأشار الشيخ إلى أحد إخوانه من الشام ممن صحبوه في الدعوة

(١) وأما وصف بعضهم له ـ رحمه الله ـ بالحدة والشدة، فليس الأمر هكذا على الإطلاق، نعم كان يوجد عنده ـ رحمه الله ـ شيء من ذلك، ولكن على أهل العناد والمكابرة، ودافعها الغيرة على السنة وأهلها، وأما من أراد التعلم أو الحق فما أصبر الشيخ عليه، وما أحلمه، وكثيرًا ما كان يردد كلمته: «الحق ثقيل على النفوس، فلا نزيده ثقلاً بطريقتنا». وما أشهر كلمته الأخرى: «الق كلمتك وامش». فأين هذه الحدة المزعومة في غير مواطنها، أليس هو الذي لم يمل من توجيه طلبة العلم وأئمة المساجد بتعليم الناس بلين، مستنبطًا ذلك من الأدلة الشرعية، ومذكرًا لهم بخلق نبيهم في الدعوة إلى الله، وفي تعليم الناس، ولقد حفظ الناس منه استدلاله بقول معاوية بن الحكم السلمي واصفًا النبي ﷺ بقوله: «فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما قهرني، ولا كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني».

السلفية ـ وكان ضيفًا في تلك الأيام على الشيخ في عمان ـ وقال: أنا لم أتغير، وهذا صَحِبَني أكثر من عشرين سنة في الدعوة، ويعرف عني هذا.

وعلى كلٍّ جزاك الله خيراً. وأما أنا فأطلب منك المسامحة إن كنت أخطأت عليك في شيء، وأسأل الله عز وجل أن يغفر لي إن كنت أخطأت في حقّ أحدٍ من المسلمين، ثم بكى رحمه الله.

فما كان من صاحبنا إلا أن بكى هو الآخر، وأخذ يقبّل يد الشيخ ورأسه، ولم أعرفه بعد ذلك إلا سلفيًا متبعًا محبًا للشيخ معظمًا له.

* وكم سمعت أنا ـ كما سمع غيري ـ قولة الشيخ الشهيرة: «أنا طويلب علم».

* وكثيراً ما كان يقول إذا مدحه أحدٌ: «أنا لست بذاك، ولكن الأمر كما قيل: إن البغاث بأرضنا يستنسر».

طيب مطعمه وملبسه

لقد كان والد الشيخ حريصًا على تعليم أبنائه أعمالاً وحِرَفًا يكتسبون منها، وكان أول عمل للشيخ التحق به وامتهنه مهنة النجارة، ولكنه لم يستمر فيها؛ نظرًا لعدم جدواها في ذلك الوقت.

ثم التحق بمهنة والده ـ وهي مهنة تصليح الساعات ـ وبرع فيها الشيخ، حتى صار من أصحاب الشهرة فيها، يقول رحمه الله:

«من توفيق الله تعالى وفضله عليّ أن وجّهني منذ أول شبابي إلى تعلم مهنة تصليح الساعات؛ لأنها مهنة حرة لا تتعارض مع جُهودي في علم السنة، فقد أعطيت لها من وقتي كل يومٍ عدا الثلاثاء والجمعة ثلاث ساعات زمنية، وهذا القدر مكّنني من الحصول على القوت الضروري لي ولعيالي على طريقة الكفاف».

وقد صحح هو ـ رحمه الله ـ قول النبي ﷺ: «خير الرزق الكفاف» «الصحيحة»(١٨٣٤).

وقال رحمه الله في «الصحيحة» (١/ ٢٥٠):

«ومما لا ريب فيه أن الكفاف يختلف باختلافِ الأشخاص والأزمان والأحوال، فينبغي للعاقل أن يحرص على تحقيق الوضع الوسط المناسب له، بحيث لا ترهقه الفاقة، ولا يسعى وراء الفضول، الذي يوصله إلى التبسط والترفه؛ فإنه في هذه الحال قلّما يسلم من عواقب جمع المال، لا سيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه مفاتنه، وتيسرت على

الأغنياء سبله، أعاذنا الله تعالى من ذلك، ورزقنا الكفاف من العيش » .

ولقد سألته ذات مرة عن حقوق التأليف؟

فأجاب: هي من أطيب الكسب[1] .

قلت: وكان رحمه الله لا يشترط مبلغًا محددًا لكتبه، بل كثيرًا ما كان يقول للناشر - أيّ ناشر -: قَدِّر أنت الذي تراه مناسبًا.

ونحسبه إن شاء الله - والله حسيبه - أنه ممن ينطبق عليه قول النبي ﷺ: «أطيب الكسب عمل الرجل بيده» «الصحيحة» (٦٠٧).

---

(١) وقد نقلت هذه الفتوى لقرين للشيخ - تنزلاً - فقال: ينبغي أن يقلد فيها!! وفي هذا الكلام ما ينبئ أن الناس دائمًا - وإن كان بعضهم من أهل العلم في الجملة - يحتاجون إلى عالم رباني.

خصومه

لم يسلَم أحدٌ من الخصومِ قديمًا ولاحديثًا؛ إذ رضا الناس غاية لا تدرك، ولا تدل الخصومة على خطأ المخاصَم، فهؤلاء الرسل صلوات الله عليهم قد خاصمَهم أكثرُ الناس، كما قال ربّ العالمين: ﴿ياحسرةً على العبادِ مايأتيهم من رسولٍ إلا كانوا به يستهزئون﴾

وكما قال ﷺ: «عُرضت عليَّ الأمم، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرهطُ، والنبيَّ معه الرجل والرجلان، والنبيَّ وليس معه أحدٌ...».

وهكذا العلماء تعرّضوا لما تعرض له الأنبياء، ولابأس!! أليسوا هم ورثة الأنبياء؟! وكأنّ هذا مما كمّل الله عزوجل به فضائل العلماء.

وتاريخ الأمة حافل بابتلاء أعلامها وعلمائها بخصومةِ مُخالفيهم؛ ممن خالفوا الهدي النبوي، وساروا في الدرب غير السوي.

وهذا واحدٌ من هؤلاء الأئمة وهو شيخنا، العالم، الناقد، البصير، المحدث، الثقة، الفقيه قد تعرض لهجمةٍ شرسةٍ من خُصومه.

وقلّ من برز في الإمامةِ - كشيخنا، ورد على المخالف - إلا وعُودي ولكن العاقل خصم نفسه، وإمامنا بحمدِ الله ثبت في الحديث، حافظٌ لما وعى، شديد الإتقان، متين الديانة، سيد الفقهاء، جبل العلم، فمن نال منه بجهلٍ أو هوى فقد ظلم نفسه، ومقتته العلماء، ولاحَ لكل مُنصفٍ تحامله، ومن أثنى عليه، واعترف بإمامته وإتقانه، فقد أصاب وأجمل، وهدي ووفق.

وما ظن الناس برجل قد:

أبى الله إلا رفعه وعلوّه وليس لما يعليه ذو العرش واضع

وبحمد الله عز وجل، فإن فضل الشيخ ـ رحمه الله ـ ظاهر لا يخفى على أحدٍ.

فلقد نشر السنة، ورفع راية الحديث، وكسر الجمود والتقليد، وأخذ بالصحيح وطرح الضعيف، وانتشر علم الحديث، وكثر طلابه وأهله، وانتشر مذهب السلف.

وما من بلدٍ ـ في الدنيا ـ إلا وتأثر أهلُه بعلم هذا الإمام.

وتخطّف الناس كتبه، وأقبل الطلاب والعلماء على دراستها، والتعلم منها، وألقى الله عز وجل لها الرواج والقَبُول، وأحيا الله عز وجل بإمامنا سننًا كثيرةً كانت قد أُميتت في كثيرٍ من البلدان الإسلامية.

ومع هذه الفضائل فقد عُودي الشيخ ـ رحمة الله عليه ـ عداءً شديدًا من طوائفٍ شتى؛ كأصحاب البدع، والأهواء، والصوفية، والمقلدة المذهبيين، والخرافيين، وأهل الحسد والحقد[1].

وقد كنت ذكرتُ الصفات المشتركة بين كثير من هذه الطوائف على اختلافهم، وأثنى الشيخُ ـ رحمه الله ـ على ما كنت قد كتبت، كما في مقدمة «الصحيحة» المجلد الثاني.

(١) وقد نادى أحدهم على نفسه.

فأذكر هذه الصفات ـ الجامعة لهذه الطوائف ـ هنا إجمالاً.

١ـ الحداثة.

٢ـ ضحالة العلم.

٣ـ الأهواء.

٤ـ حب الظهور.

ثم أضاف الشيخ ـ رحمه الله ـ سببًا خامسًا، وهو:

٥ـ الشيخوخة.

أقول: ولكن أهل السنة أحبوه، وبجّلوه، وأنزلوه منزلته اللائقة به، فرحمه الله رحمة واسعة هو وكل صاحب سنة.

ومن الآيات أن كل مَن تكلّم فيه بهوىً ـ من مات منهم ومن هو حيّ ـ لا يُعرف لهم سلامة معتقدٍ، ولا حسن اتباع، ولا صدق ديانة.

ولا بأس من ذكر كلمةٍ، قالها هو ـ رحمه الله ـ عن نفسه مع هؤلاء الخصوم:

«إني مظلومٌ من كثيرٍ ممن يدَّعون العلمَ، وقد يكون بعضُهم ممن يُظنُّ أنه معنا على منهج السلفِ، ولكنه إن كان كذلك، فهو ممن أكل البغضُ والحسدُ كَبِدَه».

مؤلفات الشيخ

لقد أثرىٰ الشيخ ـ رحمه الله ـ المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب النافعة الماتعة التي لا تخلو منها ـ أو من بعضها ـ مكتبة عامة أو خاصة، حتىٰ خصومه كانوا من أحرص الناس علىٰ اقتناء كتبه؛ لاعترافهم بعلمه.

وأما أهل الإنصاف والعدل فكانوا ـ فضلاً عن حرصهم علىٰ كتبه ـ يوصون الطلاب بها، ويحثُّونهم علىٰ دراستها؛ وذلك لما تتميز به من الفوائد العديدة، والتي لاتوجد في كتب غيره.

وهذه الكتب نذكرها هنا مع بيان ما هو مخطوط منها:

١ـ الأمثال النبوية ـ تأليف. (خ)

٢ـ أحاديث الإسراء والمعراج ـ تأليف. (خ)

٣ـ أحاديث التحري والبناء علىٰ اليقين في الصلاة ـ تأليف. (خ)

٤ـ أحكام الجنائز ـ تأليف.

٥ـ أحكام الركاز ـ تأليف. (خ)

٦ـ أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب / لابن دحية ـ تحقيق وتخريج.

٧ـ آداب الزفاف[1] ـ تأليف.

٨ـ إرشاد النقاد في تيسير الاجتهاد/ للصنعاني ـ تخريج وتعليق. (خ)

٩ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ـ تأليف.

١٠ـ إزالة الدهش والوَلَه عن المتحير في صحة حديث: ماء زمزم لما شرب له ـ تخريج.

---

(١) وهو أول كتاب قرأته لشيخنا رحمه الله.

١١- إزالة الشكوك عن حديث البروك - تأليف . (خ)

١٢- أسباب الاختلاف/ للحميدي - تحقيق . (خ)

١٣- أسماء الكتب المنسوخة من المكتبة الظاهرية - إعداد . (خ)

١٤- إصلاح المساجد من البدع والعوائد / للقاسمي - تخريج وتعليق .

١٥- أصول السنة واعتقاد الدين/ للحميدي - تحقيق . (خ)

١٦- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان / لا بن القيم - تخريج .

١٧- اقتضاء العلم العمل/ للخطيب البغدادي - تحقيق وتخريج وتعليق .

١٨- الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة - تأليف .

١٩- الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي ضعفها أو أشار إلى ضعفها ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ - تأليف . (خ)

٢٠- الأحاديث الضعيفة والموضوعة في أمهات الكتب الفقهية - تأليف . (خ)

٢١- الأحاديث المختارة/ للضياء المقدسي - تحقيق وتخريج . (خ)

٢٢- الاحتجاج بالقدر/ لابن تيمية - تحقيق .

٢٣- الأحكام الصغرىٰ لعبد الحق - تحقيق وتعليق وتخريج . (خ)

٢٤- الأحكام الوسطىٰ / - تخريج وتعليق وتحقيق . (خ)

٢٥- الأذكار / للنووي - تعليق وتخريج . (خ)

٢٦- الأسئلة والأجوبة - تأليف . (خ)

٢٧- الإكمال في أسماء الرجال / التبريزي - تحقيق .

٢٨- الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات / للآلوسي - تحقيق وتخريج .

٢٩- الآيات والأحاديث في ذم البدعة - تأليف . (خ)

٣٠ـ الإيمان/ لابن أبي شيبة ـ تحقيق وتخريج وتعليق.

٣١ـ الإيمان/ لابن تيمية ـ تعليق.

٣٢ـ الإيمان/ لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق وتخريج وتعليق.

٣٣ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث/ لأحمد شاكر ـ تعليق.

٣٤ـ التعقيب المبعوث على رسالة السيوطي الطُّرثوث ـ تأليف. (خ)

٣٥ـ التعقيب على رسالة الحجاب / للمودودي ـ تعليق.

٣٦ـ التعليق الرغيب على الترغيب والترهيب ـ تأليف. (خ)

٣٧ـ التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد/ للكنوي ـ تعليق وتحقيق. (خ)

٣٨ـ التعليق على رسالة كلمة سواء/ . . . ـ تعليق ورد. (خ)

٣٩ـ التعليق على سنن ابن ماجه ـ تخريج. (خ)

٤٠ـ التعليقات الجياد على زاد المعاد ـ تأليف. (خ)

٤١ـ التعليقات الحسان على الإحسان ـ تأليف. (خ)

٤٢ـ التعليقات الرضية على الروضة الندية/ لصديق حسن خان ـ تأليف.

٤٣ـ التمهيد لفرض رمضان ـ تأليف. (خ)

٤٤ـ التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ـ تحقيق وتعليق.

٤٥ـ التوحيد/ محمد أحمد العدويّ ـ تخريج وتعليق. (خ)

٤٦ـ التوسل أنواعه وأحكامه ـ تأليف.

٤٧ـ الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب ـ تأليف. (خ)

٤٨ـ الجمع بين ميزان الاعتدال للذهبي ولسان الميزان لابن حجر. (خ)

٤٩ـ الحديث النبوي / لمحمد الصباغ ـ تخريج.

٥٠ـ الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ـ تأليف.

٥١- الحوض المورود في زوائد منتقى ابن الجارود - تأليف . (خ)

٥٢- الدعوة السلفية أهدافها وموقفها من المخالفين لها - تأليف . (خ)

٥٣- الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد - تأليف .

٥٤- الرد المفحم على من خالف العلماء وتشدد وتعصب وألزم المرأة ان تستر وجهها وكفيها وأوجب، ولم يقنع بقولهم إنه سنة ومستحب - تأليف . (خ)

٥٥- الرد على التعقيب الحثيث/ للحبشي الهرري - تأليف .

٥٦- الرد على أرشد السلفي - تأليف .

٥٧- الرد على السقاف فيما سوده على دفع شبه التشبيه - تأليف . (خ)

٥٨- الرد على إسماعيل الأنصاري في مسألة الذهب المحلق - تأليف .

٥٩- الرد على رسالة التويجري في بحوث من صفة الصلاة - تأليف . (خ)

٦٠- الرد على عز الدين بليق في منهاجه - تأليف . (خ)

٦١- الرد على كتاب المراجعات - لعبد الحسين شرف الدين الرافضي - تأليف . (خ)

٦٢- الرد على كتاب تحرير المرأة في عصر الرسالة - لمحمد عبد الحليم أبو شقة - تأليف . (خ)

٦٣- الرد على كتاب ظاهرة الإرجاء/ لسفر الحوالي - تأليف . (خ)

٦٤- الرد على هدية البديع في مسألة القبض بعد الركوع - تأليف . (خ)

٦٥ - الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير[1] - تأليف . (خ)

٦٦- الزوائد على الموارد - تأليف .

---

(١) وقد كتب رحمه الله بخط يده على غلاف الكتاب يوصي بعدم طبعه؛ لأنه من أوائل مؤلفاته!! قلت: وهو كتاب ضخم للشيخ فيه نفس طويل وجلد في البحث، ولو رآه الناس لعلموا قيمة الطبعات المحققة من هذا الكتاب في الأسواق. لكنه تواضع العلماء. رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأعلى درجته.

٦٧ـ السفر الموجب للقصر ـ تأليف . (خ)

٦٨ـ الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب/ للسيوطي ـ تخريج .

٦٩ـ الصراط المستقيم فيما قرره الثقات الأثبات في ليلة النصف من شعبان/ لعلماء الأزهر ـ تخريج .

٧٠ـ العقيدة الطحاوية شرح وتعليق ـ تأليف .

٧١ـ العلم لأبي خيثمة ـ تحقيق وتعليق وتخريج .

٧٢ـ الفهرس الشامل لأحاديث وآثاركتاب الكامل/ لابن عدي ـ إعداد . (خ)

٧٣ـ الفهرس المنتخب من مكتبة خزانة ابن يوسف مراكش ـ إعداد . (خ)

٧٤ـ القائد إلى تصحيح العقائد/ للمعلمي ـ تعليق .

٧٥ـ الكلم الطيب/ لابن تيمية ـ تحقيق وتخريج .

٧٦ـ اللحية في نظر الدين ـ تأليف .

٧٧ـ المحو والإثبات الذي يدعى به في ليلة النصف من شعبان ـ تأليف . (خ)

٧٨ـ المرأة المسلمة/ لحسن البنا ـ تخريج .

٧٩ـ المستدرك على المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ـ تأليف . (خ)

٨٠ـ المسح على الجوربين والنعلين ـ تأليف وتذييل .

٨١ـ المصطلحات الأربعة في القرآن/ للمودودي ـ تخريج .

٨٢ـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار/ للحافظ العراقي ـ تعليق وتخريج . (خ)

٨٣ـ المناظرات والردود ـ تأليف . (خ)

٨٤ـ المناظرة بين الشيخ الألباني والشيخ الزمزمي ـ نسخها عبد الصمد البقالي . (خ)

٨٥ـ المنتخب من مخطوطات الحديث في المكتبة الظاهرية ـ تأليف .

٨٦ـ النصيحة بالتحذير من تخريب(ابن عبد المنّان) لكتب الأئمة الرجيحة، ومن تضعيفه لمئات الأحاديث الصحيحة ـ تأليف.

٨٧ـ بداية السول في تفضيل الرسول/ للعز بن عبد السلام ـ تحقيق وتخريج.

٨٨ـ بغية الحازم في فهارس مستدرك الحاكم ـ إعداد. (خ)

٨٩ـ بين يدي التلاوة ـ تأليف. (خ)

٩٠ـ تاريخ دمشق/ لأبي زرعة ـ رواية أبي ميمون ـ تحقيق وتعليق. (خ)

٩١ـ تأسيس الأحكام شرح بلوغ المرام / للشيخ أحمد بن يحيىٰ النجمي ـ تعليق طبع الجزء الأول.

٩٢ـ تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ـ تأليف.

٩٣ـ تحريم آلات الطرب ـ تأليف.

٩٤ـ تحقيق معنىٰ السنة / لسليمان الندوي ـ تخريج.

٩٥ـ تخريج أحاديث كتاب مشكلة الفقر / للقرضاوي ـ تأليف.

٩٦ـ تخريج أحاديث موسوعة البيوع ـ تأليف.

٩٧ـ تخريج حديث أبي سعيد الْخُدري في سجود السهو ـ تأليف. (خ)

٩٨ـ ترجمة الصحابي أبي الغادية، ودراسة مرويات قتله عمار بن ياسر ـ تأليف. (خ)

٩٩ـ تصحيح حديث إفطار الصائم ـ تأليف.

١٠٠ـ تلخيص أحكام الجنائز ـ تأليف.

١٠١ـ تلخيص حجاب المرأة المسلمة ـ تأليف. (خ)

١٠٢ـ تلخيص صفة صلاة النبي ﷺ ـ تأليف.

١٠٣ـ تمام المنة في التعليق علىٰ فقه السنة ـ تأليف. (خ)

١٠٤ـ تمام النصح في أحكام المسح ـ تأليف.

١٠٥ـ تمام المنة في التعليق على فقه السنة ـ تأليف .

١٠٦ـ تهذيب صحيح الجامع الصغير وزيادته والاستدراك عليه ـ تأليف . (خ)

١٠٧ـ تيسير انتفاع الخلان بترتيب ثقات ابن حبان ـ تأليف . (خ)

١٠٨ـ جلباب المرأة المسلمة ـ تأليف .

١٠٩ـ جواب حول الأذان وسنة الجمعة ـ تأليف . (خ)

١١٠ـ حجاب المرأة ولباسها في الصلاة/ لابن تيمية ـ تحقيق وتعليق وتخريج .

١١١ـ حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه ـ تأليف .

١١٢ـ حجة الوداع . (خ)

١١٣ـ حقوق النساء في الإسلام/ لرشيد رضا ـ تعليق .

١١٤ـ حقيقة الصيام/ لابن تيمية ـ تخريج .

١١٥ـ حكم تارك الصلاة ـ تأليف .

١١٦ـ خطبة الحاجة ـ تأليف .

١١٧ـ دفاع عن الحديث النبوي ـ تأليف .

١١٨ـ ديوان الضعفاء والمتروكين/ للذهبي ـ تحقيق وتعليق . (خ)

١١٩ـ رجال الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ـ إعداد . (خ)

١٢٠ـ رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار/ للصنعاني ـ تحقيق وتعليق .

١٢١ـ رياض الصالحين/ للنووي ـ تخريج .

١٢٢ـ زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض على من أوجب الصلاة على البشير النذير في التشهد الأخير/ للخَيْضَري ـ تحقيق وتعليق . (خ)

١٢٣ـ سؤال وجواب حول فقه الواقع ـ فتوى .

١٢٤ـ سبل السلام للصنعاني ـ تعليق . (خ)

١٢٥ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١ ـ ٦) مطبوع ، والمجلد السابع تحت الطبع ، وبه ينتهي الكتاب ـ وتوجد قطعة من الثامن ـ تأليف .

١٢٦ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١ ـ ٥)مطبوع (السادس والسابع تحت الطبع) والكتاب خمسة عشر مجلداً ـ تأليف .

١٢٧ـ شرح العقيدة الطحاوية/ لابن أبي العز الحنفي ـ تخريج .

١٢٨ـ صحيح ابن خزيمة ـ مراجعة وتخريج .

١٢٩ـ صحيح الأدب المفرد ـ تأليف .

١٣٠ـ صحيح الإسراء والمعراج ـ تأليف . (خ)

١٣١ـ صحيح الترغيب والترهيب ـ اختيار وتخريج .

١٣٢ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته ـ تأليف .

١٣٣ـ صحيح السيرة النبوية ـ تأليف . (خ)

١٣٣/أ ـ صحيح الكلم الطيب ـ تأليف .

١٣٤ـ صحيح سنن ابن ماجه ـ تأليف .

١٣٥ـ صحيح سنن أبي داود[٢] . (خ)

١٣٦ـ صحيح سنن أبي داود ـ تأليف .

١٣٧ـ صحيح سنن الترمذي ـ تأليف .

١٣٨ـ صحيح سنن النسائي ـ تأليف .

١٣٩ـ صحيح كشف الأستار عن زوائد البزار/ للهيثمي . (خ)

١٤٠ـ صحيح موارد الظمآن ـ تأليف .

---

(٢) سلك فيه الشيخ رحمه الله مسلكه في «الإرواء» فهو غير صحيح سنن أبي داود وضعيف سنن أبي داود المطبوع أولاً من قبل مكتب التربية العربي وأخيراً من قبل مكتبة المعارف بالرياض .

١٤١ـ صفة الفتوىٰ والمفتي والمستفتي/ لابن حمدان ـ تخريج وتعليق .

١٤٢ـ صفة صلاة النبي ﷺ ـ تأليف .

١٤٣ـ صلاة الاستسقاء ـ تأليف . (خ)

١٤٤ـ صلاة التراويح ـ تأليف .

١٤٥ـ صلاة العيدين في المصلىٰ خارج البلد هي السنة ـ تأليف .

١٤٦ـ صلاة الكسوف وما رأىٰ ﷺ فيها من الآيات ـ تأليف . (خ)

١٤٧ـ صوت الطبيعة ينادي بعظمة الله/ لعبد الفتاح الإمام ـ تخريج .

١٤٨ـ صوت العرب تسأل و ناصر الدين يجيب[1] .

١٤٩ـ صيد الخاطر/ لابن الجوزي ـ تخريج .

١٥٠ـ ضعيف الأدب المفرد ـ تأليف .

١٥١ـ ضعيف الترغيب والترهيب ـ اختيار وتخريج .

١٥٢ـ ضعيف الجامع الصغير وزيادته ـ تأليف .

١٥٣ـ ضعيف سنن ابن ماجه ـ تأليف .

١٥٤ـ ضعيف سنن أبي داود ـ تأليف .

١٥٥ـ ضعيف سنن الترمذي ـ تأليف .

١٥٦ـ ضعيف سنن النسائي ـ تأليف .

١٥٧ـ ضعيف كشف الأستار عن زوائد البزار/ للهيثمي . (خ)

١٥٨ـ ضعيف موارد الظمآن ـ تأليف .

١٥٩ـ ظلال الجنة في تخريج السنة ـ تأليف .

١٦٠ـ عودة إلىٰ السنة ـ تأليف . (خ)

---

(١) جريدة «صوت العرب» سنة ١٣٨٠هـ .

١٦١ـ غاية الآمال بتضعيف حديث عرض الأعمال والرد على الغماري بصحيح المقال ـ تأليف . (خ)

١٦٢ـ غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ـ تأليف .

١٦٣ـ فتنة التكفير ـ فتوى .

١٦٤ـ فتوى حكم تتبع آثار الأنبياء والصالحين ـ تأليف .

١٦٥ـ فضائل الشام ودمشق ـ تخريج .

١٦٦ـ فضل الصلاة على النبي ﷺ ـ تحقيق وتخريج .

١٦٧ـ فقه السيرة/ للغزالي ـ تخريج .

١٦٨ـ فهرس أحاديث كتاب التاريخ الكبير للبخاري ـ إعداد . (خ)

١٦٩ـ فهرس أحاديث كتاب الشريعة للآجري ـ إعداد . (خ)

١٧٠ـ فهرس أسماء الصحابة الذين أسندوا الأحاديث في معجم الطبراني الأوسط ـ إعداد . (خ)

١٧١ـ فهرس الصحابة الرواة في مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ إعداد .

١٧٢ـ فهرس المخطوطات الحديثية في مكتبة الأوقاف الحلبية ـ تأليف . (خ)

١٧٣ـ فهرس كتاب الكواكب الدراري لابن عروة الحنبلي ـ إعداد . (خ)

١٧٤ـ قاموس البدع ـ تأليف . (خ)

١٧٥ـ قاموس الصناعات الشامية/ لمحمد سعيد القاسمي ـ تخريج/ مشاركة مع الشيخ محمد بهجت البيطار ـ رحمه الله ـ .

١٧٦ـ قصة نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال ـ تأليف . (خ)

١٧٧ـ قيام رمضان ـ تأليف .

١٧٨ـ كتاب الصلاة الكبير ـ تأليف . (خ)

١٧٩ـ كشف النقاب عما في كلمات أبي غدة من الأباطيل والافتراءات ـ تأليف .

١٨٠ـ كلمة الإخلاص وتحقيق معناها/ لابن رجب ـ تخريج .

١٨١ـ كيف يجب أن نفسر القرآن ـ تأليف . (خ)

١٨٢ـ لفتة الكبد إلى نصيحة الولد/ لابن الجوزي ـ تحقيق وتخريج مشاركة مع الأستاذ محمود مهدي استانبولي رحمه الله .

١٨٣ـ ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة/ للألوسي ـ تخريج .

١٨٤ـ مجموع الفتاوىٰ[١] .

١٨٥ـ مختصر التوسل ـ تأليف . (خ)

١٨٦ـ مختصر الشمائل المحمدية/ للترمذي ـ اختصار وتحقيق .

١٨٧ـ مختصر العلو للعلي العظيم ـ اختصار وتحقيق .

١٨٨ـ مختصر تحفة المودود/ لابن القيم ـ اختصار وتخريج . (خ)

١٨٩ـ مختصر تعليق الشيخ محمد كنعان . (خ)

١٩٠ـ مختصر شرح العقيدة الطحاوية . (خ)

١٩١ـ مختصر صحيح البخاري (١ـ ٤) ـ اختصار وتعليق .

١٩٢ـ مختصر صحيح مسلم/ للمنذري ـ اختصار وتعليق .

١٩٣ـ مختصر صحيح مسلم ـ تأليف .

١٩٤ـ مذكرات الرحلة إلىٰ مصر ـ تأليف . (خ)

١٩٥ـ مسائل أبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة ـ تحقيق وتعليق . (خ)

١٩٦ـ مسائل غلام الخلال التي خالف فيها الخرقي ـ تعليق .

١٩٧ـ مساجلة علمية بين العز بن عبد السلام وابن الصلاح ـ تحقيق وتعليق .

---

(١) وهي الفتاوىٰ التي أجاب عنها ـ رحمه الله ـ في مجالسه العلمية ، والمسجلة . وتقوم الآن مكتبة المعارف بالرياض بنشر هذه الفتاوىٰ .

١٩٨ـ مساوئ الأخلاق/ للخرائطي ـ تحقيق وتخريج . (خ)

١٩٩ـ مشكاة المصابيح ـ تخريج .

٢٠٠ـ مع الأستاذ الطنطاوي ـ تأليف . (خ)

٢٠١ـ معالم التنزيل/ للبغوي ـ تخريج . (خ)

٢٠٢ـ معجم الحديث النبوي ـ تأليف (أربعون مجلداً) . (خ)

٢٠٣ـ مناسك الحج والعمرة ـ تأليف .

٢٠٤ـ مناظرة كتابية مع طائفة من أتباع القاديانية ـ تأليف . (خ)

٢٠٥ـ مناقب الشام وأهله/ لابن تيمية ـ تخريج .

٢٠٦ـ منتخبات من فهرس المكتبة البريطانية ـ إعداد . (خ)

٢٠٧ـ منزلة السنة في الإسلام ـ تأليف .

٢٠٨ـ موارد السيوطي في الجامع الصغير ـ تأليف . (خ)

٢٠٩ـ نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر/ لابن حجر ـ تعليق وتحقيق(لم يتم) .

٢١٠ـ نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ـ تأليف .

٢١١ـ نقد التاج الجامع للأصول لمنصور علي ناصف تعليق وتخريج . (خ)

٢١٢ـ نقد نصوص حديثية في الثقافة الإسلامية ـ تأليف .

٢١٣ـ هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة/ لابن حجر ـ تخريج .

٢١٤ـ وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والأحكام ـ تأليف .

٢١٥ـ وصف الرحلة الأولى إلى الحجاز والرياض مرشداً للجيش السعودي ـ تأليف . (خ)

٢١٦ـ وضع الآصار في ترتيب أحاديث مشكل الآثار ـ إعداد . (خ)

من كلماته المضيئة

١ـ كلمة حول سبيل نهوض الأمة الإسلامية واستعادة عزها ومجدها :

«الأساس في ذلك هو الرجوع إلىٰ الإسلام، وهذا الذي أعتقده هو ما جاء في الحديث الصحيح ، وهو قوله ﷺ :

«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتىٰ ترجعوا إلىٰ دينكم». «الصحيحة» (١١) .

وهذا الأمر قد أشار إليه الإمام مالك ـ رحمه الله ـ في كلمة مأثورة تكتب بماء الذهب، وهي قوله : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة، اقرأوا قول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿اليومَ أكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وأتمَمْتُ عَلَيكُم نِعمتِي ورَضيتُ لكُم الإسْلامَ دِينًا﴾ ، فما لم يكن يومئذٍ دينًا لا يكون اليوم دينًا، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

هذه الجملة الأخيرة هي بيت القصيد ، حيث قال رحمه الله : ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فكما أن العرب في الجاهلية ما صلح أمرهم إلا بعد مجيء نبيهم محمد ﷺ بوحي السماء الذي أسعدهم في الدنيا، وسينجيهم في الأخرىٰ، فالأساس الذي ينبغي أن تكون عليه الحياة الإسلامية السعيدة في هذا الزمان ليس إلا الرجوع إلىٰ الكتاب والسنة.

غير أن هذا الأمر يحتاج إلىٰ شيء من التفصيل؛ لكثرة الجماعات والأحزاب الإسلامية الموجودة في الساحة والتي تدّعي لنفسها أنها وضعت المنهج الذي يُمكّنها من تحقيق المجتمع الإسلامي والحكم بالإسلام.

ونحن نعلم من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أن السبيل إلىٰ تحقيق ذلك إنما هو سبيل واحد وهو ما ذكره الله عز وجل بقوله: ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله﴾.

ولقد وضحه رسول الله ﷺ لأصحابه؛ فقد خط لهم يومًا خطًا مستقيمًا علىٰ الأرض، ثم خط علىٰ جانبيه خطوطًا قصيرة، ثم قرأ ﷺ ـ وهو يمر بإصبعه الشريفة علىٰ الخط المستقيم ـ الآية السابقة، ثم أشار إلىٰ الخطوط التي علىٰ جانبي الخط المستقيم، ثمَّ قال: «هذا سبيل الله، وهذه السبل؛ علىٰ رأس كل سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو له». «السنة» (١٦).

وقد أكّد ربنا عز وجل بآية أخرىٰ ما ذكر في الآية السابقة مع شرح رسول الله ﷺ لها في الحديث المذكور آنفا؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الهُدىٰ ويتَّبع غيرَ سبيلِ المؤمنين نولّه مَا تَولّىٰ ونُصْلِه جهنَّم وساءتْ مَصِيرًا﴾، ففي هذه الآية حكمة بالغة، فقد عطف سبحانه سبيل المؤمنين علىٰ ما جاء به الرسول ﷺ، وهذه النكتة أشار إليها رسول الله ﷺ في حديث الافتراق عندما سئل عن الفرقة الناجية فقال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي». «الصحيحة» (٢٠٣).

فما هي الحكمة في ذكر الله عز وجل في هذه الآية سبيل المؤمنين؟ وما هي النكتة في عطف رسول الله ﷺ أصحابه على نفسه في الحديث السابق؟

الجواب: أن هؤلاء الصحابة الكرام هم الذين تلقوا الوحيين من رسول الله ﷺ مبيّنًا منه لهم ـ مباشرة دون واسطة ـ كما هو شأن من جاء من بعدهم، ولا شك أن الأمر كما قال رسول الله ﷺ: «إن الشاهد يرىٰ ما لا يرىٰ الغائب». «الصحيحة» (١٦٠٥)، ولذلك كان إيمان الصحابة الأولين أقوىٰ من إيمان من جاء بعدهم، وهذا ما أشار إليه ﷺ في الحديث المتواتر: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

وعلىٰ هذا فلا يستطيع مسلم أن يستقلَّ بفهم الكتاب والسنة بشخصه، بل لا بد أن يستعين علىٰ فهمهما بالرجوع إلىٰ الأصحاب الكرام الذين تلقوا ذلك عن النبي ﷺ مفسرًا تارة بقوله، وتارة بفعله، وتارة بتقريره.

فإذن؛ من الضروري جدًا أن نضمَّ إلىٰ الدعوة إلىٰ الكتاب والسنة السَّيْرَ علىٰ ما كان عليه سلفنا الصالح؛ إعمالاً لما سبق ذكره في بعض الآيات والأحاديث المتقدمة حينما ذكر الله سبيل المؤمنين، وذكر نبيه الكريم وأصحابه إلىٰ فهم الكتاب والسنة علىٰ ما كان عليه سلفنا الأول من الصحابة رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان.

ويأتي هنا سؤالٌ هام جدًا يغفل عنه كثير من الجماعات أو الأحزاب

الإسلامية، ألا وهو:

ما هو السبيل إلىٰ معرفة ما كان عليه أصحابه من فهم وتطبيق لهذه السنة؟

الجواب: لا سبيل إلىٰ ذلك إلا بالرجوع إلىٰ علم الحديث؛ علم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وتطبيق قواعده ومصطلحاته حتىٰ يتمكّن العلماء من معرفة ما صحّ عن النبي ﷺ مما لم يصح.

و نقول بعبارة أوضح للمسلمين الذين يريدون أن يعيدوا العزة للإسلام، والمجد للإسلام، والحكم للإسلام: لا بد لكم أن تُحقِّقوا أمرين اثنين:

أمّا الأمر الأوّل: فهو أن تُعيدوا إلىٰ أذهان المسلمين شريعة الإسلام مصفَّاة من كل ما دخل فيها مما لم يكن منها يوم أنزل الله تبارك وتعالىٰ قوله: ﴿اليَومَ أكمَلتُ لكُم دِينَكُم وأتمَمْتُ عَليكُم نِعمَتِي ورَضِيتُ لَكُم الإسلامَ دِينًا﴾، وإعادة هذا الأمر اليوم كما كان في العهد الأول يحتاج إلىٰ جهود جبارة من علماء المسلمين في مختلف أقطار الأرض.

والأمر الآخر: ينبغي أن يقترن العمل الجادّ الدؤوب بهذا العلم المصفَّىٰ.

ويوم يعود المسلمون إلىٰ فهم دينهم كما كان يفهمه أصحاب

رسول الله ﷺ، ثم يعملون على تطبيق هذا الإسلام المصفى تطبيقًا عمليًا صحيحًا في جميع مناحي الحياة، يومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله.

أسأل الله لنا ولعامة المسلمين أن يُفَهِّمَنا الإسلام فهمًا صحيحًا، على ضوء كتابه، وسنة رسوله الصحيحة، وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح، وأن يُوَفِّقَنا للعمل بذلك، إنّه سميع مجيب». أهـ.

٢ ـ كلمة حول السلفية والانتساب إليها:

«إن كلمة السلف معروفة في لغة العرب، وفي لغة الشرع؛ وما يهمنا هنا هو بحثها من الناحية الشرعية: فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته للسيدة فاطمة رضي الله عنها: «فاتقي الله واصبري، ونعم السلف أنا لك».

ويكثر استعمال العلماء لكلمة السلف، وهذا أكثر من أن يعد ويحصى، وحسبنا مثالاً واحداً وهو ما يحتجون به في محاربة البدع:

وكل خير في اتباع من سلف ... وكل شرٍّ في ابتداع من خلف

ولكن هناك من مدعي العلم من ينكر هذه النسبة زاعمًا أن لا أصل لها! فيقول: «لا يجوز للمسلم أن يقول: أنا سلفي»، وكأنه يقول: «لا يجوز أن يقول مسلم: أنا متبع للسلف الصالح فيما كانوا عليه من عقيدة وعبادة وسلوك»!

لا شك أن مثل هذا الإنكار ـ لو كان يعنيه ـ يلزم منه التبرؤ من الإسلام الصحيح الذي كان عليه سلفنا الصالح، وعلى رأسهم النبي ﷺ

كما يشير الحديث المتواتر الذي في «الصحيحين» وغيرهما عنه ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

فلا يجوز لمسلم أن يتبرأ من الانتساب إلىٰ السلف الصالح، بينما لو تبرأ من أية نسبة أخرىٰ لم يمكن لأحد من أهل العلم أن ينسبه إلىٰ كفر أو فسوق.

والذي ينكر هذه التسمية نفسه، ترىٰ ألا ينتسب إلىٰ مذهب من المذاهب؟! سواء أكان هذا المذهب متعلقًا بالعقيدة أو بالفقه؟

فهو إما أن يكون أشعريًا أو ماتريديًا، وإما أن يكون من أهل الحديث، أو حنفيًا، أو شافعيًا، أو مالكيًا، أو حنبليًا؛ مما يدخل في مسمىٰ أهل السنة والجماعة، مع أن الذي ينتسب إلىٰ المذهب الأشعري، أو المذاهب الأربعة، فهو ينتسب إلىٰ أشخاص غير معصومين بلا شك، وإن كان منهم العلماء الذين يصيبون، فليت شعري هلاّ أنكر مثل هذه الانتساباتِ إلىٰ الأفراد غير المعصومين؟

وأما الذي ينتسب إلىٰ السلف الصالح، فإنه ينتسب إلىٰ العصمة ـ علىٰ وجه العموم ـ، وقد ذكر النبي ﷺ من علامات الفرقة الناجية: أنها تتمسك بما كان عليه رسول الله ﷺ وما كان عليه أصحابه.

فمن تمسك بهم كان يقينًا علىٰ هدىً من ربه.

وهي نسبة تُشرِّف المنتسبَ إليها، وتيسر له سبيل الفرقة الناجية، وليس ذلك لمن ينتسب أية نسبة أخرىٰ، لأنها لا تعدو واحداً من أمرين:

إما انتساباً إلىٰ شخصٍ غير معصومٍ، أو إلىٰ الذين يتبعون منهج هذا الشخص غير المعصوم، فلا عصمة كذلك، وعلىٰ العكس منه عصمةُ أصحاب النبي ﷺ؛ وهو الذي أمرنا أن نتمسك بسنته، وسنة أصحابه من بعده .

ونحن نُصرُّ ونلحُّ أن يكون فهمُنا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وَفْقَ منهج صحبه؛ لكي نكون في عصمة من أن نميل يميناً أويساراً، ومن أن ننحرفَ بفهمٍ خاصٍّ لنا، ليس هناك ما يدل عليه من كتاب الله سبحانه، وسنة رسوله ﷺ .

ثمَّ؛ لماذا لا نكتفي بالانتساب إلىٰ الكتاب والسنة؟

السببُ يعود إلىٰ أمرين اثنين :

أحدهما :متعلقٌ بالنصوص الشرعيّة .

والآخر : بواقع الطوائف الإسلامية .

بالنسبة للسبب الأول : فنحن نجد في النصوص الشرعية أمراً بطاعة شيء آخرَ إضافةً إلىٰ الكتاب والسنة، كما في قوله تعالىٰ : ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنْكُمْ﴾، فتجب طاعة ولي أمر المسلمين المبايع ، كما تجب طاعة الكتاب والسنة ، مع أنه قد يُخطئ ـ هو ، ومَن حوله ـ فوجبت طاعتُه دفعاً لمفسدةِ اختلاف الآراء ، وذلك بالشرطِ المعروفِ : «لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق» . «الصحيحة» (١٧٩) .

وقال الله تعالىٰ : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَىٰ

ويتّبع غيرَ سَبيلِ المؤمِنين نُولّه ما تَولّىٰ ونُصْلِهِ جَهنَّمَ وسَاءَتْ مَصيراً﴾.

إن الله عز وجل يتعالىٰ ويترفع عن العبث، ولا شك ولا ريب أن ذِكره (سبيل المؤمنين) إمَّا هو لحكمةٍ وفائدةٍ بالغةٍ، فهو يدل علىٰ أن هناك واجبًا مهمًا، وهو أن اتباعنا لكتاب الله سبحانه، ولسنة رسوله ﷺ يجب أن يكون وَفْقَ ما كان عليه المسلمون الأوّلون؛ وهم أصحاب الرسول ﷺ؛ ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم؛ وهذا ما تنادي به الدعوةُ السلفيةُ، وما ركّزت عليه في أُسٍّ دعوتها، ومنهج تربيتها.

إن الدعوة السلفية ـ بحقٍّ ـ تجمع الأمةَ، وأيّ دعوة أخرىٰ تُفرّق الأمة؛ يقول الله عز وجل: ﴿وكونوا مَعَ الصَّادقين﴾، ومَن يفرّق بين الكتاب والسنة من جهةٍ، وبين السلف الصالح من جهةٍ أخرىٰ، لا يكون صادقًا أبدًا.

أما بالنسبة للسبب الثاني: فالطوائف والأحزاب الآن لا تلتفت مطلقًا إلىٰ اتباع (سبيل المؤمنين) الذي جاء ذكره في الآية، وأيدته بعض الأحاديث؛ منها:

حديث الفرق الثلاث والسبعين، وكلّها في النار إلا واحدة، وصفَها رسول الله ﷺ بأنها: «هي التي علىٰ مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

وهذا الحديث يشبه تلك الآية التي تذكر سبيلَ المؤمنين. ومنها: حديثُ العِرْباض بن سارية، وفيه: «فعليكم بسنّتي، وسُنة الخلفاء

الراشدين المهديين من بعدي».

إذن هناك سنتان: سنة الرسول ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين.

ولا بدّ لنا ـ نحن المتأخرين ـ أن نرجع إلى الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين، ولا يجوز أن نقول: إننا نفهم الكتاب والسنة استقلالاً دون الالتفات إلى ما كان عليه سلفنا الصالح!!

ولا بد من نسبةٍ مُميِّزةٍ دقيقةٍ في هذا الزمان، فلا يكفي أن نقول: أنا مسلم فقط! أو: مذهبي الإسلام! فكل الفرق تقول ذلك: الرافضي والإباضي والقادياني وغيرهم من الفرق!! فما الذي يميزك عنهم؟

ولو قلتَ: أنا مسلمٌ على الكتاب والسنة لما كفى أيضًا، لأن أصحاب الفرق ـ من أشاعرةٍ، وماتريدية، وحزبيين ـ يدَّعون اتّباع هذين الأصلين كذلك.

ولا شك أن التسمية الواضحة الجلية المميِّزة البيّنة، هي أن تقول: أنا مسلم على الكتاب والسنة وعلى منهج سلفنا الصالح، وهي أن تقول باختصار: «أنا سلفي».

وعليه؛ فإنّ الصوابَ الذي لا مَحِيد عنه؛ أنه لا يكفي الاعتمادُ على القرآن والسنة، دون منهج السلف المبين لهما في الفهم والتصور، والعلم والعمل، والدعوة والجهاد.

ونحن نعلم أنهم ـ رضي الله عنهم ـ لم يتعصّبوا لمذهبٍ معينٍ، أو شخصٍ بعينه، فليس فيهم من كان بكريًّا أو عمريًّا أو عثمانيًّا أو علويًّا.

بل كان أحدُهم إذا تيسّر له أن يسأل أبا بكرٍ، أو عمرَ، أو أبا هريرة سأله؛ ذلك بأنهم آمنوا أنه لا يجوز الإخلاص في الاتباع إلا لشخصٍ واحدٍ، ألا وهو رسولُ الله ﷺ؛ الذي لا ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلا وحيٌ يوحىٰ.

ولو سلَّمنا للناقدين جدلاً أننا سنتسمىٰ بالمسلمين فقط، دون الانتساب للسلفية ـ مع أنها نسبةٌ شَريفةٌ صَحِيحةٌ ـ، فهل هم يتخلون عن التسمي بأسماء أحزابهم، أو مذاهبهم، أو طرائقهم، علىٰ كونها غيرَ شرعيّةٍ ولا صحيحةٍ؟!!

فحسبُكمُ هذا التفاوتُ بيننا   وكلُّ إناءٍ بما فيه ينضَحُ

والله الهادي إلىٰ سواء السبيل، وهو ـ سبحانَه ـ المستعانُ». اهـ.

بعض الأشعار التي كان يتمثل بها

العلمُ قال الله قال رسولُه

قال الصحابةُ ليس خلف فيه

ما العلم نصبك للخلافِ سفاهةً

بين النصوصِ وبين رأي سفيه

كلا ولا نصب الخلاف جهالة

بين الرسولِ وبين رأي فقيه

كلا ولا رد النصوص تعمّدًا

حذرًا من التجسيم والتشبيه

حاشا النصوص من الذي رميت به

من فرقة التعطيل والتمويه

***

ستُبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً

ويأتيكَ بالأنباءِ مَن لم تزوّد

***

والدَّعاوي مالم تُقيموا عليها

بينات أبناؤُها أدعياءُ

***

وإذا أرادَ الله نشرَ فضيلةٍ

طُويت أتاحَ لها لسانَ حسود

***

وكل خير في اتباع من سلف

وكل شر في ابتداع من خلف

***

قد كان ما خشيت أن يكونا

إنا إلى الله لراجعونا

***

بكى صاحبي لما رأى الدرب دوننا

وأيقن أنا لاحقون بقيصرا

فقلت له لا تبكِ عينك إنما

نحاول ملكًا أو نموت فنعذرا

***

أوردها سعد وسعد مشتمل

ما هكذا يا سعد تورد الإبل

* اختارته كلية الشريعة في جامعة دمشق لتخريج أحاديث البيوع الخاصة بموسوعة الفقه الإسلامي

* اختير عضواً في لجنة الحديث التي شكلت في عهد الوحدة بين مصر وسوريا للإشراف على نشر كتب السنة وتحقيقها.

* درّس مادة الحديث في الجامعة الإسلامية من عام (١٣٨١هـ) إلى عام (١٣٨٣هـ)

* اختير عضواً في المجلس التأسيسي الأعلى للجامعة الإسلامية من عام (١٣٩٥هـ) إلى عام (١٣٩٨هـ).

* عرض عليه الإشراف على قسم الدراسات العليا بجامعة أم القرى فاعتذر.

* طلبت منه الجامعة السلفية في بنارس بالهند تولي مشيخة الحديث فاعتذر.

* منح جائزة الملك فيصل العالمية عام(١٤١٩هـ) عن جهوده القيمة في خدمة الحديث النبوي تخريجًا وتحقيقًا ودراسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

براءة جائزة الملك فيصل العالمية

للدراسات الإسلامية

إنَّ هيئة جائزة الملك فيصل العالمية بعد الاطلاع على نظام جائزة الملك فيصل العالمية المعدل والمصادق عليه من مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالقرار رقم ٢٣/١١١٧/٤٠٣ وتاريخ ١١/٩/١٤٠٣هـ، وعلى محضر لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية في دورتها الثانية والعشرين بتاريخ ١٥-١٨ رمضان ١٤١٩هـ الموافق ٢-٥ يناير ١٩٩٩م تقرر منح:

الشيخ محمد ناصر الدين حاج نوح الألباني

جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية لهذا العام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) وموضوعها (الجهود العلمية التي عُنيت بالحديث النبوي، تحقيقاً أو تخريجاً أو دراسة). وذلك تقديراً لجهوده القيّمة في خدمة الحديث النبوي تخريجاً وتحقيقاً ودراسة. وذلك في كتبه الكثيرة وبخاصة إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، وسلسلة الأحاديث الضعيفة، وتحقيق كتاب مشكاة المصابيح للتبريزي، وصحيح الجامع الصغير وزياداته، وضعيف الجامع الصغير وزياداته.

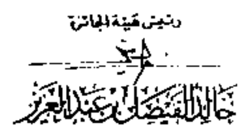
ويعد الشيخ الألباني شخصية علمية رائدة، وصاحب مدرسة متميزة، وله عطاء حديثي أغنى الحقل العلمي، وأصبحت جهوده وأعماله مراجع لطلاب العلم، وعوناً للدارسين للسنة النبوية.

وإن هيئة الجائزة إذ تمنحه هذه البراءة لترجو الله أن يمده بالعون لمواصلة جهوده العلمية النافعة.

والله ولي التوفيق

صدرت في الرياض برقم ١٢٦ وتاريخ ١٤/١١/١٤١٩هـ الموافق ٢/٣/١٩٩٩م

رئيس هيئة الجائزة



خالد الفيصل بن عبد العزيز

صورة من براءة جائزة الملك فيصل العالمية

تلاميذه[1]

لما كانت حياة الشيخ كلّها قد قضاها في طلب العلم، وفي تعليم الناس، ودعوتهم، كان من الطبيعي أن يكون للشيخ مئات التلاميذ ـ ولا أقول العشرات ـ وهؤلاء التلاميذ، وإن كانوا يختلفون ـ كلٌّ على حسبه ـ في مدة الأخذ عن الشيخ، بل وفي نوعية الأخذ، وكيفيته.

و يجزم المرء بأنه لا يخلو بلد إسلامي من وجود تلاميذَ للشيخ، منهم المقل، ومنهم المكثر، منهم الذي تلقى عن الشيخ مباشرةً، ومنهم من أخذ علم الشيخ بالواسطة؛ كالأخذ من الكتاب، أو من الشريط، أو نحو ذلك.

و هؤلاء التلاميذ ـ جميعًا ـ يتميزون ـ على تنوعهم، واختلاف أوطانهم، وتعدد أساليب أخذهم لعلم الشيخ ـ بصفاء العقيدة، وحسن اتباعهم لكتاب الله عز وجل ولسنة النبي ﷺ بفهم السلف الصالح.

وقلما تجد مؤلِّفًا، أو محققًا، أو باحثًا، أو واعظًا، أو خطيبًا إلا ويستفيد من علم الشيخ كما هو مشاهد ومعروف.

وجُلُّ هؤلاء التلاميذ اليوم هم من أصحاب الدعوة الإسلامية الصحيحة في مختلف البلدان، وكثيرٌ منهم اليوم شيوخ معروفون.

وليست هذه الرسالة مما يتسع المجال فيها لذكر أسماء هؤلاء التلاميذ .

(١) وقد نمي إلى علمي أن هناك رسالة تؤلف الآن في تراجمهم.

نصيحته لطالب العلم المبتدئ

«أنصح لطالب العلم المبتدئ، أن يقرأ من كتب الفقه: «فقه السنة» للشيخ سيد سابق، مع الاستعانة عليه ببعض المراجع مثل: «سبل السلام»، وإن نظر في: «تمام المنة» فيكون هذا أقوىٰ له[1].

وأنصح له بـ: «الروضة الندية».

وأما في التفسير؛ فعليه أن يعتاد القراءة من كتاب: «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير- وإن كان مطولاً بعض الشيء - فإنه أصح كتب التفسير اليوم.

ثم من حيث المواعظ والرقائق فعليه بكتاب: «رياض الصالحين» للإمام النووي.

ثم أنصح فيما يتعلق بكتب العقيدة، بكتاب: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي، ويستعين عليها - أيضاً - بتعليقي وشرحي عليها.

ثم يجعل بصورة عامة ديدنه دراسة كتب شيخ الإسلام؛ ابن تيمية، وتلميذه: ابن قيم الجوزية - رحمهما الله - الذي أعتقد أنهما من نوادر علماء المسلمين الذين سلكوا منهج السلف الصالح في فقههم، مع التقوىٰ والصلاح، ولا نزكي علىٰ الله أحداً.

---

(١) أقول: بل من الأهمية بمكان أن لا يقرأ الطالب «فقه السنة» بدون «تمام المنة» ولكنه تواضع العلماء.

وصية إمام السنة

إلى

عموم الأمة

«إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفُسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه.

وبعد:

فوصيتي لكل مسلمٍ على وجه الأرض، وبخاصة إخواننا الذين يشاركوننا في الانتماء إلى الدعوة المباركة؛ دعوة الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح:

أوصيهم ونفسي بتقوى الله تبارك وتعالى أولاً.

ثم بالاستزادة من العلم النافع، كما قال الله تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ وأن يعرفوا علمهم الصالح الذي هو عندنا جميعًا لا يخرج عن كونه كتابًا وسنةً وعلى منهج السلف الصالح، وأن يقرنوا مع علمهم هذا والاستزادة منه ـ ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ـ العملَ بهذا العلم، حتى لا يكون حجّة عليهم، وإنما يكون حجة لهم﴿يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾.

ثم أحذّرهم من مشاركة الكثير ممن خرجوا عن الخط السلفي بأمورٍ

كثيرةٍ، وكثيرة جداً، يجمعها كلمة الخروج على المسلمين وعلى جماعاتهم، وإنما نأمرهم بأن يكونوا كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «وكونوا عبادَ الله إخوانًا».

وعلينا أن نترفّق في دعوتنا المخالفين إليها، وأن نكون مع قوله تبارك وتعالى دائمًا وأبدًا: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وأول من يستحق أن نستعمل معه هذه الحكمة هو مَن كان أشدّ خصومة لنا في مبدئنا وفي عقيدتنا، حتى لا نجمع بين ثقل دعوة الحقّ التي امتنّ الله عز وجل بها علينا، وبين ثقل سوء أسلوبِ الدعوة إلى الله عز وجل.

فأرجو من إخواننا جميعًا في كل بلاد الإسلام أن يتأدّبوا بهذه الآداب الإسلامية، ثم أن يبتغوا من وراء ذلك وجه الله عز وجل؛ لا يريدون جزاءً ولا شكوراً، ولعل في هذا القدر كفاية، والحمد لله رب العالمين».

وفاته ودفنه

إنه في يوم السبت الثاني والعشرين من شهر جمادىٰ الآخرة، سنة (١٤٢٠هـ). الموافق الثاني من أكتوبر، سنة (١٩٩٩م) وقبيل غروب الشمس استرد الله عز وجل وديعته.

وعلىٰ وجه السرعة ـ وحسب وصيته رحمه الله ـ تم تغسيله وتكفينه ودون إعلام أحدٍ إلا بقدر من يقوم بهم واجب تجهيزه ودفنه.

ومع ذلك فقد حضر الصلاة والجنازة نحو الخمسة آلاف؛ لانتشار الخبر سريعًا.

وصلىٰ عليه تلميذه البار فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم شقرة، فكبر عليه تسع تكبيرات.

وحُملت جنازته علىٰ الأكتاف من بيته إلىٰ المقبرة.

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم شقرة ـ حفظه الله ـ:

«المقبرة التي دفن فيها الشيخ ـ رحمه الله ـ مقبرة مغلقة منع الدفن فيها، أو كانت البلدية تفكر في إزالتها، فحضر وكيل أمين العاصمة، وشهد الدفن، وأمر بأن يدفن الشيخ في المقبرة نفسها رغم أنها مغلقة، ثم أمروا بأن يقام سور حولها، وألا يكون هناك دفن بعد الشيخ ـ رحمه الله ـ فربما يكون آخر من دفن في هذه المقبرة، ولعل الله عز وجل حفظ بوجوده فيها الأموات الذين سبقوه؛ أن تنبش قبورهم، فهذه كرامة أيضًا نالت المقبرة من دفنه بجوارهم ـ رحمهم الله جميعًا».

وصية الإمام المحدث

هذه مقتطفات من وصية شيخنا شيخ الإسلام رحمه الله.

«وصيتي

بسم الله الرحمن الرحيم

أوصي زوجتي، وأولادي، وأصدقائي، وكل محب لي، إذا بلغه وفاتي أن يدعو لي بالمغفرة والرحمة - **أولاً** -

وأن لا يبكوا عليّ نياحةً و بصوتٍ مرفوعٍ.

وثانيًا: أن يعجلوا بدفني، ولا يخبروا بي من أقاربي وإخواني إلا بقدر ما يحصل بهم واجب تجهيزي.

وأن يتولى غسلي (عزت خضر أبو عبد الله) جاري وصديقي المخلص، ومن يختاره - هو - لإعانته على ذلك.

وثالثًا: أختار الدفن في أقرب مكانٍ؛ لكي لا يضطر من يحمل جنازتي إلى وضعها في السيارة، وبالتالي يركب المشيعون سياراتهم!

وأن يكون القبر في مقبرةٍ قديمةٍ، يغلب على الظن أنها سوف لا تُنبش».

«وعلى مَن كان في البلد الذي أموت فيه أن لا يُخبروا مَن كان خارجها من أولادي، فضلاً عن غيرهم، إلا بعد تشييعي؛ حتى لا تتغلب العواطف، وتعمل عملها؛ فيكون ذلك سببًا لتأخير جنازتي. سائلا المولى أن ألقاه وقد غفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت».

«وأوصي بمكتبتي ـ كلها، سواء ما كان منها مطبوعًا، أو مصورًا، أو مخطوطًا؛ بخطي، أو بخط غيري ـ لمكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .

لأن لي فيها ذكريات حسنة، في الدعوة للكتاب والسنة، وعلىٰ منهج السلف الصالح يوم كنت مدرسًا فيها.

راجيًا من الله تعالىٰ أن ينفع بها روادها. كما نفع بصاحبها يومئذ طلابها.

وأن ينفعني بهم؛ بإخلاصهم دعواتهم.

٢٧/ جمادىٰ الأولىٰ سنة (١٤١٠هـ).

وكتب

الفقير إلىٰ رحمة ربه

محمد ناصر الدين الألباني

﴿ربِّ أَوْزِعني أنْ أشكرَ نِعمتكَ التي أنعمتَ عليَّ وعلىٰ والديَّ وأنْ أعملَ صالحًا تَرضَاهُ وأَصْلِح لي في ذُرِّيتي إنِّي تُبْتُ إليكَ وإنِّي مِن المسلِمين﴾.

وأوصي بمكتبتي كلها سواء ما كان منها مطبوعاً أو مصوراً
أو مخطوطاً، بخطي أو بخط غيري لمكتبة الجامعة الإسلامية في
المدينة المنورة، لأن لي فيها ذكريات حسنة في الدعوة للكتاب والسنة
وعلى منهج السلف الصالح يوم كنت مدرساً فيها، راجياً من الله تعالى
أن ينفع بها روادها، كما نفع بصاحبها يومئذ طلابها، وأن
ينفعني بهم بإخلاصهم ودعواتهم.

٢٧/جمادى الأولى سنة ١٤١٠

وكتب
الفقير إلى رحمة ربه
محمد ناصر الدين الألباني

(رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي
وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني
من المسلمين).

صورة الوصية بخط يده رحمه الله

معرفتي بالشيخ[1]

لقد كان لسماعي بالشيخ رحمه الله حادثة طريفة، وكنت يومها دون العشرين ببضع سنوات، ولم تكن لي يومئذ قراءة في العلوم الشرعية إلا بقدر ما يقرر علينا في المدارس النظامية، أو ما نسمعه في خطب الجمعة، أو دروس شهر رمضان ونحو ذلك، وبالطبع لم أسمع مطلقًا باسم الشيخ رحمه الله.

وذات يوم سافرت من بلدتي إلىٰ القاهرة، ولم يكن لي قبل ذلك أي سفر، وصليت الجمعة في أحد المساجد الشهيرة، ورأيت من جموع المصلين ما بهرني، ثم بعد الصلاة رأيت باعة الكتب وقد ملؤا الساحات والشوارع المحيطة بالمسجد، فأمضيت وقتًا طويلاً في قراءة عناوين هذه الكتب التي أراها لأول مرة!

وبحكم السن! لم يقع اختياري في ذلك الوقت إلا علىٰ كتابٍ في أحكام الخطبة والزواج، وعند محاسبتي للأخ البائع نظر في الكتاب الذي في يدي، ثم أعاده إلىٰ مكانه، وتناول كتابًا آخر، فأعطاني إياه قائلاً: «خذ هذا فارس الميدان».

والحق أنني أخذت الكتاب دون نقاش، ودفعت المال وانصرفت، فإذا بالكتاب هو كتاب: «آداب الزفاف في السنة المطهرة». تأليف محمد ناصر الدين الألباني.

---

(١) أذكرها هنا موجزة جداً، وباختصار شديد.

فأقبلت على قراءته، وشعرت بعقلية علمية دقيقة مقنعة، وإن لم أستوعب كل الذي قرأته!

حفظت اسم المؤلف (محمد ناصر الدين الألباني) وذهبت بعد ذلك إلى إحدى المكتبات، وسألت عن كتبٍ له، فكانت بعض الأجزاء الصغيرة من «سلسلة الأحاديث الضعيفة» ، وهكذا ارتبطت بكتب الإمام ـ رحمه الله ـ وبكل كتاب نصح به في كتبه، وأنا إلى الآن كلما ذكرت ذلك البائع الأوّل دعوتُ له كثيراً جزاه الله خيراً.

ثم حرصت بعد ذلك على شراء كل ما تقع عليه يدي من كتب الإمام رحمه الله.

وفي أثناء الأجازات الصيفية كان غالب وقتي أقضيه في حديقة منزلنا في قراءة هذه الكتب، وأذكر أنني عندما كنت أقرأ في ذلك الوقت في «تفسير ابن كثير». و«فقه السنة»[1] كنت إذا مررت بحديث ليس في البخاري ومسلم بحثت عنه في كتب الشيخ؛ لأقف على درجته من حيث الصحة والضعف، ومن ثم نقلت ذلك الحكم في تلك النسخة.

وأذكر هنا ـ للتاريخ ـ أنني قد سألت في ذلك الوقت أساتذة مادة الحديث في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وكثيراً من الأساتذة في

(١) لم يكن لدي علم في ذلك الوقت بكتاب الشيخ «تمام المنة في التعليق على فقه السنة»، إذ الكتاب لم يكن قد طبع بعد، ونسخته التي كانت على الآلة الكاتبة لم يكن عندي علم عنها.

جامعة الأزهر عن الشيخ ناصر؟ فكان جوابهم بالتسليم للشيخ في علم الحديث، وأنه من الراسخين فيه.

وتمنى أحدهم أن يتاح له الوقت ليصنف مؤلَّفًا يبرز فيه جهود الشيخ في خدمة الحديث النبوي الشريف.

وما إن انتهت دراستي الجامعية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، حتى استأذنت والديّ في الرحيل إلى الشيخ الألباني في عمان، فوافقا ـ حفظهما الله ـ وكان ذلك فضلاً لهما على فضلهما.

وفي اليوم الثاني مباشرة من وصولي إلى عمّان اكتحلت عيناي برؤية الإمام الألباني، واستمر بقائي في عَمّان نحو أربع سنوات، نهلت فيها من علم الشيخ رحمة الله عليه.

ورغم أنه لم تكن للشيخ دروس منتظمة يُدَرِّس فيها كتابًا بعينه، أو مادة محددة كما كان الحال في دمشق، إلا أن الشيخ رحمه الله كان يتنقل في بيوت طلاب العلم من أربعة إلى خمسة أيام كل أسبوع، أو أقل من ذلك، أو أكثر، وذلك حسب انشغال الشيخ بتحقيقاته وأعماله العلمية.

كما كان للشيخ رحلات مع طلابه وتلاميذه، وكان أجمل ما في هذه الرحلات هو ما نستفيده من علم الشيخ.

ولا زلت إلى اليوم أحتفظ بالأسئلة التي أتيت بها من مصر لسؤال الشيخ عنها، وكثير منها حول التصفية والتربية، وهي جملة لا أشك أن الشيخ ـ رحمه الله ـ أُلْهِمَهَا إلهامًا، كما أن مشروعه هذا على ما وصفه

وأصّله هو تشخيص دقيق للداء، ووصف أدق للدواء.

وكان في أسئلتي أيضًا أسئلة حديثية، وقد أجابني رحمه الله على بعضها، وأما البعض الآخر فأحالني إلى مواطن في كتبه.

وقسم ثالث لا أنسى أبدًا جواب الشيخ عنه بلهجته الشامية: «تظن أنني من أنصاف طلاب العلم»[1].

فقلت: كلا وحاشا.

ففطن رحمه الله إلى أن دافعي في هذه الأسئلة هو قلة علمي.

فقال لي: إذًا ستعرف الأجوبة على هذه الأسئلة في المستقبل إن شاء الله، وأبى أن يتحدث عن نفسه وعلمه.

وقد كان الأمر كما قال رحمه الله، ولي الآن رسالة ضخمة ـ لم تتم بعد ـ شاملة حول منهج الشيخ.

ومضت الأيام إلى أن اضطررت أنا للسفر من الأردن، والعودة إلى مصر، ولم يدم بقائي بها طويلاً.

ثم قدمت إلى الرياض بالمملكة العربية السعودية، وما هي إلا أشهر حتى قدم الشيخ إلى المملكة معتمرًا و زائرًا، وتجول في تلك الرحلة في مدن المملكة ـ وسُمِّيت هذه الرحلة برحلة النور ـ فتجدد اللقاء

---

(١) لم يكن ذلك الظن مني أبدًا في يوم من الأيام، بل كان ـ رحمه الله ـ من فحول العلماء، ولم تزدني الأيام إلا ازديادًا بمعرفة قدر هذا الإمام ومنزلته، ولو لم يكن عندي كذلك لما رحلت إليه رحمه الله.

بيني وبينه.

ثم زرته بعد ذلك في منزله بعمان عدة مرات.

ولم تنقطع اتصالاتي به ـ رحمه الله ـ إلا قُبيل وفاته بقليلٍ؛ نظراً لصعوبة إجابته على الهاتف، فكنت أكتفي بالسؤال عنه وعن صحته.

وقد كانت هناك مكاتبات بيني وبينه رحمه الله، وكان أول كتاب رَدَّ هو عليّ فيه بخط يده بُعيد وصولي إلىٰ عمّان، وكان كتابي هذا حول عدة أحاديث منها:

قوله ﷺ: «إذا نعس أحدكم في المسجد يوم الجمعة، فليتحول من مجلسه ذلك إلىٰ غيره». برقم(٤٦٨) «الصحيحة».

وكان الشيخ رحمه الله يحسنه فقط، ولم يكن رحمه الله وقف علىٰ الرواية التي صرّح فيها ابن إسحاق بالتحديثِ، فذكرتها له، وسألته: هل يصحح الحديث الآن، أم يبقىٰ علىٰ التحسين؟ فكتب بخط يده أنه الآن يصحح الحديث.

لكن كانت المفاجأة لي عندما طبع الجزء الأول في طبعته الجديدة، ووجدته يقول ص (٨٣٩): «ثم أوقفني أحد إخواننا المصريين ـ جزاه الله خيراً ـ علىٰ رواية أخرىٰ لأحمد (٢/ ١٣٥) صرح ابن إسحاق فيها بالتحديث، فثبت الحديث، وصح بالطريق الأخرىٰ والشاهد».

فانظر إلىٰ دقته وأمانته رحمه الله، وهو الغني عن ذكر مثل هذا الكلام.

وفي رسالةٍ أخرىٰ كنت كتبت له حول تصحيحه لحديث:

«إن البركة وسط القصعة، فكلوا من نواحيها، ولا تأكلوا من رأسها»(١٥٨٧)«الصحيحة».

وقوله رحمه الله: «وابن عيينة إنما سمع من عطاء ـ يعني: ابن السائب ـ بعد اختلاطه، فالاعتماد علىٰ رواية الثوري عنه».

فكتبت أسأله حول قول سُفيان بن عيينة نفسه: «كنت سمعت من عطاء بن السائب قديمًا، ثم قدم علينا قدمة، فسمعته يحدث ببعض ما كنت سمعت، فخلط فيه، فاتقيته واعتزلته».

وقلت: أليس هذا يدل علىٰ صحة سماع ابن عيينة من عطاء بن السائب، وأن الحديث يصح من طريقه كما يصح من طريق الثوري؟

فكتب رحمه الله، يقول: «نعم. يصح الحديث من طريق ابن عيينة، وما في السلسلة سهوٌ، وهذا هو الذي كنت علقته علىٰ نسختي من التهذيب».

وآخر رسالة علمية أرسلتها للشيخ كانت بتاريخ(١٨/ ١١/ ١٤١٩هـ)، وتدور حول(٣١) حديثًا.

وبين آخر رسالة وأول رسالة مراسلات أخرىٰ، ولربما ذكرت كل ذلك في كتابي الآخر عن الشيخ رحمه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الشيخ العلامة شيخنا وأستاذنا محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله .

من سمير بن أمين الزهيري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وبعد ؛ فإني أحمد الله عز وجل إليكم الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتم عليكم نعمته وعافيته ، وأن يسلمكم مما ألم بكم ، وأن يكتب لكم أجركم كاملا .

شيخنا : أستأذنكم أن أقول :

لقد حققت كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري على نسختين خطيتين ، وأعدت الكتاب إلى أصله ودونما حذف للأسانيد ، مع نقل كلامكم من جميع كتبكم على كل حديث أو أثر إلى موضعه ، ناسبا كل ما هو منقول عن فضيلتكم إليكم ، ولقد سبق وأن وافقتم - حفظكم الله - شفهيا على ذلك ، وكانت هذه الموافقة بالنسبة لي أمرا ، وسررت بها جدا .

ثم إني أطمع الآن - لعلمي بسماحتكم - وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم : " أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سرورا ... " (الصحيحة : ١٤٩٤) أن تتكرموا حفظكم الله ورعاكم بالموافقة الخطية إن رأيتم ذلك .

وجزاكم الله كل خير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتبه

محبكم

سمير بن أمين الزهيري

الرياض في ٧ / ٢ / ١٤١٩

أوافقكم على ما ذكرتم في رسالتكم أعلاه من نقل كلامي وأحكامي من جميع كتبي ، وجزاكم الله خيراً على تعاونكم في خدمة السنة

محمد ناصر الدين الألباني

١٤١٩/٢/١٦ هـ

شاهد صاحب المكتبة نظام سكجها

شهد على ذلك

نموذج بخط يد الشيخ - رحمه الله - في رسالة متبادلة بينه وبين المؤلف

رفعت الأقلام وجفت الصحف

وقضى نحبه علم الأمة وشيخ السنة

الإمام الألباني

بقلم

الشيخ محمد بن إبراهيم شقرة

نعم؛ لقد جفت الصحف، ورفعت الأقلام، وثبتت الأقدار في مستقرها، بعد أن قطعت الأشواط الزمانية التي قدرت لها فوق صعيدِ الحياة، وألمّ بها الوهنُ، وأقعدها العجز، وأسلمها إلىٰ النهاية الصائرة إليها الأشياء كلها، ومنها، وعليها حين غاب عنها صاحبها، وآثر اللحاق بالملأ الأعلىٰ.

وما كان يكون للأقدار أن تتخلف عن مواقعها، وقد أوثقها الله إليه بإرادته الحكيمة مذ كانت إرادته؛ مذ كان ولم يكن شيء، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو الحكيم الخبير، فلا راد لها إلا بأقدار أخرىٰ تقضي إرادته الحكيمة بغير الذي قضت به، فأين المهرب من قدرٍ؟ وقد سيقت معه وإليه إرادات المخلوقات كلها بقوتها وضعفها، وألقت عنده راحلة العمر حبلها، توثق به إلىٰ النهاية الحتم التي لا تختلف عليها إرادات البشر جميعها، إلا بما يكون منها من طواعيةٍ راضيةٍ، وتسليم لابث، رضيت ذلك أم كرهت! ذلكم أنه كائن لا محالة.

وأجاء الله قدره إلىٰ الروح القوية، التي ظلت زهاء ستة عقود

تحتضن لواء السنة في عزيمةٍ لا تعرفُ التردد، وصبر لا يعرف الضجر، وإقدام لا يعرف النكوص، ودأب موصول لا يعرف الوهن، وسهر عُمِّيت الطرائق على الإجهاد إليه، ودقة صبور تقاصر عنها الهمم، وأمانة واعية أذكرت أهل العلم بما يجب عليهم من حقوقها، واستقصاء أحاط علمًا بكل ما ندّ من قواعدها، وخفي من أصولها، وشغف ظل مشبوبًا به قلبه حتىٰ سقط القلم من بين أصابعه، واستحضار للنصوص والآثار والسنن والبلاغات بأحكامها، وعزوها إلىٰ مظانها، والتأليف بينها، والناسخ والمنسوخ منها، والاستنباطات الفقهية الحسنة، إلىٰ غير ذلك من علوم السنة التي وضع لها خده، وعشقها قلبه، وأناخ علىٰ صدره منه همُّها، واستوىٰ عليه سوقها، وأصاب كل طالب علم محب للسنة ما قدرعليه من ثمرها.

ولم تعرف السنة النبوية في شطر عمرها الثاني مثله في قوة سبره، واستدراكه علىٰ السابقين، وتيسيرٍ وتسهيلٍ للاحقين، واختصار للمتون، وتوليف بينها، وإعمال دقيق محكم لقواعدها وأحكامها، وتتميم للنقص الذي بدا عُواره فيها، ورد وضبط وتقويم للخلل الذي وقع عليها، وتبيان للعلل التي حلت بها، وتصويب للأخطاء التي عكَّتها، وثبتت زمانًا مديدًا لها، وسلَّم بها العلماء تسليمًا مطلقًا لطول العهد بها؛ لخفاء عللها علىٰ السابقين.

وكان عِلْمُ السنة قد صار إلىٰ غياهب النسيان، وانقطع به عقودًا

طويلة، حتىٰ صار الاشتغال به ضربًا من المستحيل، بل وصار يكاد أن يعاب من يهمُّ بالاشتغال به؛ إلا ما يكون من طباعةِ كُتبِها، والاهتمام بحفظ نصوصها بأسانيدها أو مجردة منها، حفظًا يكون الحافظ به نسخة جاد بها حفظ الحافظ علىٰ النسخ التي أخرجتها المطبعة من تحت أضراسها لكتاب من كتبها، ليظل الكتاب محفوظًا كما هو بأخطائه وأغاليطه التي علقت بصحائفه من أول مرة طبع فيها، فقد اكتسب هذا الكتاب قدسيةً تسمو إلىٰ قدسية المصحف، علىٰ أن ليس في آياته خطأ ينفي عنه الصواب، ولم يعدُ الحفظ هذا، بل لربما شُهِرَ الحافظ حتىٰ ليقال فيه: لقد أدرك بركةً عزّ علىٰ الناس نوالها، وهذا حقٌّ لا ريب فيه، وبخاصة وإن كان الحفظ آخذًا بإجازةٍ، ولكن أن يبقىٰ عند حدود الحفظ، فذلك يُقبل حتىٰ من العوام الذين يجيدون حفظ القرآن.

فلما طلع النجم الأكبر، وسطع ضوؤه، وتلألأ في سماء الشام سناه، قال قائل السُّوءِ: أأعجميٌّ وعربيٌّ؟! وتناحلت الذمَّ عليه ألسنٌ بأسوأ من هذه القالة فيه، وتلاحت مقاول الحسد تصد بالكلام عنه، ولكأنما حُبست عن الخير كله قولاً وفهمًا لأسبابه، وناءت بعجزٍ أصمّها عن سماع شيء مما وهبه الله سبحانه ورضيه له مباركًا فيه، وأسلس له قياده.

وقد عرفت ديار الشام نفراً من أهل العلم كانوا يعنون بالسُّنة، لكنها عناية لم تخرجهم عن قيد المذهبية التي كانوا قد وجدُوا آباءهم

عليها، فكانت مذهبيتهم تقهرهم على ليِّ أعناق النصوص التي يحفظونها ليًّا يدنيها من المذاهب التي صارت لها قدسية تعلو قدسية السنن والآثار؛ ليكون المذهب الذي نشأ عليه أحدُهم هو الأول قبل الآخر، والآخر بعد الأول لا يطاول بحق، إلا أن يتحول المتمذهب عن مذهبه الذي لم تستطع قدسيته أن تحول دون تحوله عنه!! وذلكم حين يصعب جدًّا عليه أن يسيغ بعض المسائل التي كان التسليم بها - قبلُ - هو النجاة والمرقاة، كالشيخ القاسمي رحمه الله، وغالبية أهل بلاد الشام على المذهب الشافعي.

فلما أن طلع نجم ذلك الأعجمي - زعموا - وزعموا مطية الكذب، ومرتع الهوىٰ، وسوق الدقل! ومباءة العجز الباهظ! فيا حسرة على المسلمين، ما يأتيهم من عالمٍ أفاء الله عليه بعلم الكتاب والسنة إلا كانوا عنه معرضين، وله مُعادين، وعن قوس واحدةٍ له رامين.

ولكأني به - رحمه الله - على حياء سابغ حين يعرض لذكر قوله ﷺ: «إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعًا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناسٌ جهال، يستفتون فيفتون برأيهم، فيُضلون ويَضلون».

وهو ممن نقطع من تلكم الطائفة التي بموتها يموت العلم، وتنقطع مادته الصالحة، وذلكم من خشية أن يقول الأفَّاكون الخرَّاصون المبطلون أنه إنما يعني نفسه.

وحتى لو أنه أراد أن يريد نفسه لما جاوز عتبة الحق والصدق والحقيقة، ويكون تحديثًا منه بنعمة الله، وذلك فضل الله يُؤتيه من يشاء.

ولقد عهدنا منه حين كان يُثني أحدٌ عليه بعلمه، يقولُ: «ما أنا إلا طُويلب علمٍ صغيرٌ»، ثم كلمة الصِّدِّيق على لسانه: «اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي مالا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون»، وكثيراً ما كانت دموعه تخالط كلماته، فتقطع حروفها، ولا يكاد يبين عن كلماته إلا من بعد انقطاع دمُوعه.

ولقد لقي رحمه الله من المشايخ المذهبيين ما لقي العلماء الربانيون من قبله؛ من سوء الظن بكل مُؤَثِّمة من القولِ، والرمي بسابغات التهم، والزمان يتداعى حاضره بماضيه، وأوله بآخره، وشاهده بغائبه، حتى يكون كأنما هو كله بكل ما حواه مخلوقًا؛ ليكون شاهداً على نفسه أنه زمان واحد يذكر بخلق السماوات والأرض: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾[الأنبياء: ٣٠].

وأن كثيراً مما خلق الله في أجزاء هذا الزمان العتيد الطويل الممتد فوق رقعة الأرض والسماء يتساوون في الأذواق والعقول، وإن تفاوتوا في صورهم وأشكالهم، وأن أسوأ الأذواق وأردأ العقول عقول الذين تلطخوا بمنابذة السنة المطهرة، وأذواق الذين باتوا على جمر العداوة لأحكامها وآدابها فناءوا جميعًا بأوزار الناس الظَّانِّين فيهم الظن الحسن،

وما هم إلا من خبال الأوهام الموشَّاة بضلال الريب وريَب الضلال، لا يليذهم مكرمهم السّيئ إلا إلىٰ مكر مثله أو أسوأ.

وكان للشيخ حظٌ من مثل هذا، نودي به في الناس أنه «الإمام» بلا منازع، ناخت ببابه رواحل علم السنة، فندب الله لها مَن أراد به خيراً؛ ليأخذ من أوقارها ما يقدر علىٰ أخذه فما نقص منها شيء، إلا وصار إليها أضعاف أضعاف ما نقص ـ بدأب الشيخ وصبره وإحاطته ـ ومن دخل مكتبته التي أنشأها بقلمه لا يكاد يصدق أن تلك المخطوطات المنضودة فوق رفوفها، وسطَّرها قلمه، واجتناها عقله، ورصفها بجَلَدِه هي صنعته وحدَه.

وبخاصة منها سلسلته الذهبية «الصحيحة» و«الضعيفة» التي لم تنعم الأمة إلا بأقل من نصفها قبل موته، ولو أني حلفت يميناً فيها أنه ما من حرف ولا كلمة فيما صنف إلا وهو من خطه هو، لذا كانت البركة الخالدة فيما مَنَّ الله عليه من علم أفاض به معرفة باقية في عقبه إلىٰ ما شاء الله.

ولو أنه سلك طريق التأليف التي أمعن في سلوكها الحاطبون في ظلمات الخَتْلِ، والنهب والسطو، وسخر طوائف من الجهلاء بأجر حسن يبغون التكسب الرخيص من وراء الأردية الفضفاضة، أو الحازقة الحاقبة التي يودون أن يستروا بها عوراتهم، وقبيح فعلاتهم، وما هم بفاعلين، وما أقبحها من عورات سمَّنها الجشع الطُّلَعة، وأهزلها ـ من

بعدُ ـ تجشُّمُها محاولات الإبقاء على ظنون الناس المخدوعين فيها، فما أصابت إلا حزنًا على ما فاتها، وإلا هلعًا من خوف على ما حسبته أنه خالد محبوس عليها، فهي بينهما على وجل غير مجذوذ، وأنى يكون لها أن تضع خفافها إلا حيث يقضي به عليها هواها؟

ولقد طوَّفت السنة بآفاق الأرض، تبحث عن مستقر لها فما وجدت ـ في هذا القرن الجائلة فيه الفتن ـ آمَنَ لها منه، ولا أعطف لها من قلبه، ولا أحفظ لها من صدره، فوهبت له نفسها في ثقة راضية، ورضيته أن يكون لواءها العالي الرفيع، تحمله في قوة وجلادة، ينتاب به ليل نهار نوادي العلم، وتغشى به جموع طلابه وترتاد به ثَنيّات المعارف، وتطلع بشارفة شوارفها، فترد إليه شواردها وشواهدها؛ كيلا يكون لغيره ما أرادته له من شرف شارف به من شرّفه الله من قبل أن يكون من أشرف شرفائها؛ كالبخاري ومسلم، وغيرها من نبلاء الحفظة والمحدثين.

فزهت به أرض الشام؛ غوطتها وبلقائها، حيث منشؤه ومُهاجَره، ومُقامه الذي كرَّمه، وثواؤه، وتغنت بذكره أرض الكنانة، وفتحت له ذراعيها أرض الجزيرة والفراتين.

وتساعت إلى بابه في جهار (وخفاء) دور النشر؛ تطلب ود قلم بصبيب عطائه.

وأحمد الله ربي سبحانه أن أولاني صحبة كريمة فائقة له دامت نحواً

من خمس وثلاثين سنة، ما كانت لتدوم على صفاء وبرور لولا ما أوقرت له فيها من صادق المودة، والرعاية، وشجاعة النصرة، والحماية، ما لم يكن لأحد سواي، لم أر لي عليه بهذا كله حقًّا يؤمل إلا ما أرتجيه من حسن ثواب الآخرة.

وطلاب العلم في زماننا يصدق فيهم قول نبينا ﷺ: «الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة».

وقد أوشك الناس أن يدركوا بطلاب العلم، وما ينشرون في الناس من كفاف الحروف والمعاني علامة من علامات الساعة، وهي: فشوّ القلم.

وليس أدل على وجود هذه العلامة أن طلاب العلم أنفسهم في زماننا ـ على أنهم طلاب علم ـ ليسوا عالمين بأنهم هم أنفسهم، فهي هم وهم هي، وبأنها علامة قائمة فيهم وأنهم هم نتف متفرقة منها، وأن الإكثار من الكتابة والتأليف وإن ظُن أنه سيكون به ومنه ومعه علم يعني (فشو القلم) أوسع فيهم جهلاً وغروراً.

ملاحظة هامة: أرجو طلاب العلم واحداً واحداً في أقطار الأرض وجهاتها أن لا يشير أحدهم لنفسه بإصبع الاتهام (بأنه المعني بذلك) إلا إن علم من نفسه علم اليقين (بأنه كذلك) والواحد فرد شائع كما يقال، وذلك خشية من أن يكون الظن منهم لا يوافق مَطرحَه أو مُطَّرَحه فيرتد إليه سهم ظنه مُصِمًّا والعهد بنا بمثله قريب.

وأحسبني صادقًا والناس معي بصدقهم إن كانوا مصدّقيّ فيما أقول مصدقًا لما بين يديّ من شهادة ستين سنة، صدقت بهيمنة دعواها صدقها، وبتصديق الشيخ لها بما شهدت كتبه بصدق ما حوته من علم صادق مصدق، ما نطق به لسان الأيام عدلاً وصدقًا، لا لبس فيه ولا ريب بأخذ العهد الصادق الموروث عن النبي الصادق المصدق، فلكأنما كان وعد صدق من الشيخ أو مع الشيخ في حياته أو من بعد موته أن يظل منهجه في عقبه ثلجًا، يحدث الناس أنه سيبقى صادقا (بكلّه) و(بأجزائه كلها) لما أصدق بظاهر رسمه وشكله، وبما أخفى من فحواه ووحيه، وبما أرتع القلوب والعقول في شجره ونجمه، وبما سقاها من نمير ينعه ورضاب ثمره حتى أضحى الدليل من آي الكتاب، ونصوص السنة، وآثار علماء سلف الأمة مطلب العالم، وبغية المتعلم، ونشدان المتأدب، والتمست طرائق البحث الاستقرائي، والنظر الرَّويّ، والسبر الدُّريّ، ولم يعد لطالب العلم مكان إلا بذلك، وصار الدليل من هذه كلها أو من بعضها يطلب من قبل أن تساق المسألة من مسائل الفقه، كبيرة كانت أم صغيرة، فإما إثبات بدليل، وإما نفي بدليل؛ لتحيا التي تحيا منها عن بينة، ولتزول التي تزول منها عن بينة، فيبقى علم الكتاب والسنة على جلاء المحجة، فصارت المسائل تباهي بأدلتها أخواتها من المسائل الكاثرة على جُنح الظلام، وفوق أريج الصبا، وعلى متن عافية النهار في تسابق بين المهرة البهرة الخُلّص البررة، الذين أصابوا من كرائم

العلم، وطرائف الحكمة وأنشدوا أنفسهم الله سبحانه أن يكونوا على سواء القصد في إيراد المسائل العلمية بأجلى وأحلى وأغلى صفة الإيراد.

وما كان العلم أن يكون إلا في غرر الْمُعجزين القادرين الواهبين أوقاتهم للعلم الذي طويت صفحته، فنشرها الشيخ نشرًا أوهى به قرون القرون، وشهدت له بفضل السبق به قادمات القرون.

ومن أمّل أن يقوم مقامه بعزائم السنة والأثر، فليفرح بجهل ملبس غاص في وحله، وليهنأ بأمنية قصيرة الأجل نَعِمَ بها يومًا ذهبت مع الشيخ إلى قبره، ومن عاد على نفسه بها من ظنٍّ أنه قادر عليها، فقد أفضى إلى سراب بقيعة، أو إلى سيلِ عَرِمٍ جارف.

وطال الشوط أم قصر فإن المرقد ينتظر الوافد إليه، على شوق إليه، مرًّا كان أم حلوًا لهذا الوافد، فالعمل الذي يستقبله عند مرقده هو ما كان منه أثناء الشوط، لا يزاد عليه، ولا ينقص منه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذرّةٍ شرًّا يرَه﴾.

وسقط القلم من بين أصابع الشيخ، وذاب الصوت القوي الندي اللطيف، الذي ملأ طباق الأرض علمًا، وسكت اللسان الذي جالت الحكمة والآي من فوقه، وأطبقت الشفتان اللتان طالما تحركتا بالفقه والتأويل، وحيل بين الثرى وبين الثريا برحيله، وتطامنت الرؤوس من حزن أن لا يكون لها لقاء في حِلَق الدرس والتلقي بين يديه، وصفّقت قلوب طار أصحابها من فرح أحاط بها بغيابه، وتنفست الصعداء صدور

تربع الحقد والحسد من فوقها، واستبشرت نفوس بُشمت بالسوء والبغضاء أن أعجزها إدراك فضيلة القبول التي سعت إليه من شتىٰ أقطار الأرض، فكان بها بحق مجدد القرن، ومَفزَع العلم.

لكن. . . مهلاً، مهلاً، مهلاً يا هؤلاء! لقد وطئت أقدامكم أرضًا وعرة، وأرهقتم نفوسكم في طرائق صعبة، وركبتم لجة بحرٍ هائجٍ موجُهُ، ولستم والله بِمُنَجّي أمانيكم بمثل الذي أنتم عليه، وإن كان لكم رجاء فهو معلق بذنب ضبٍّ، فاسعوا به إلىٰ ذي عوجٍ في رأيه، أو إلىٰ مبطون أفلت زمام أسره.

فقد وقىٰ الله سبحانه السنة التي احتضن لواءها علمها الأشم ستة عقود كاملة، وقام وسيبقىٰ حصنًا منيعًا لها نفرٌ من تلامذته من بعده، نذروا أنفسهم للسنة وعلومها والدعوة الغراء وكرامتها، ما داموا أحياء في غربة خضراء مريعة خصبة، طلُّها هطل، ونورها فوح، وعطاؤها بركة وفرٌ، فخير لكم ألا تكونوا علىٰ وجلٍ منهم، ولا علىٰ مكرٍ بهم، فأمةٌ محمد ﷺ إمامها ـ وقد بشّرها وأنذرها ـ ما يكون لها أن تختلف قلوبها، ولا أن تصيب من فُرقة عقولها، ولا أن تجثوا من ذل النزاع علىٰ ركبها؛ ليكون التمكن لعدوها من رقابها، يستبيح بيضتها، ويكسر شوكتها، ويرضخ عزتها.

ولن يجعل الله للأمة سلطانًا علىٰ عدوها بالعدل في الحكم، والسؤدة بالعلم، والاستحواذ بالحق، إلا أن تأوي إلىٰ كَنَف الكتاب

الكريم، والهدي النبوي الحكيم، وأثر السلف القويم.

وحقا إنه لمصاب سابغ جلل، وخطب جسيم لا يحتمل، وبلاء وبيل مروع إثر بلاء من قبله حلَّ، وليس من شيء يهيض جناح الأمة مثل موت العلماء.

فرحم الله الشيخين الأنورين، فقد والله ما مُنيت الأمة منذ عقود طويلة بمثل ما مُنيت به من موتهما:

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الزاهد، الداعية، دثار الحكمة، ورَوَاء التأويل.

والشيخ **محمد ناصر الدين الألباني** محدث العصر، ورافع لواء السنة، وشمس الأمة، رحمهما الله، وأجزل لهما الأجر، ووفّانا نعمة الشكر على ما أبقيا فينا من بعدهما، ونعمة الصبر على مصابنا فيهما.

ومع عُظم البلاء يكون عُظمُ الأجر، وعظمُ الأجر لا يكون إلا وصوبه الصبر، ومن سخط كان له السخط، ومن رضي كان له الرضى، ولا يخفف من شدة وقع البلاء مثل ثلاث: عموم البلاء، والصبر على شدته، والأجر الذي يوفاه الصابرون، ورابعة هي وكاءُ الثلاث: ذكر موت النبي ﷺ: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنها من أعظم المصائب».

اللهم فأجِرنا في مُصيبتنا، وأخلف لنا خيراً منها، واجمعنا بهما تحت لواء الحمدِ؛ لواء محمدٍ ﷺ. أهـ.

مضى إلى الله
قصيدة في رثاء العلامة الألباني رحمه الله

بقلم

أبي الفضل عادل بن المحجوب رفوش المغربي

عفا الله تعالى عنه[1]

مَاءُ الحياةِ بِذي الدُّنيا وإنْ عَذُبَا ... أخُو السَّراب فلا يَغرُرْك من شَرِبَا

فما تطيبُ كؤوسٌ مِن معتَّقةٍ ... ما دامَ كأسُ المنايا صَاح مُقتَرِبَا

فاعمل لِتلقَى الذي تسرُرْكَ طَلْعَتُهُ ... وقَدِّمَنْ صَالحَ الأعمالِ والقُرَبَا

فليس يُذكَر بعد اللحدِ مِن نَشَبٍ ... إلا بصَالحةٍ تَستَصْلِحُ النَّشَبَا

طُوبى لعبدٍ أتى الدُّنيا على وَجَلٍ ... كما أتى ناصرُ الدِّين الذي ذَهَبَا

مضى إلى اللهِ واستَوْفَى الذي كُتِبَا ... وما تَلوَّنَ بالدُّنيا وما اضْطَرَبَا

وما تلَوَّثَ في أدْرانِها رَغَبًا ... وما تردَّدَ في حقٍّ بِهَا رَهَبَا

بل كانَ حيثُ ثوى كالبدرِ مُكْتَمِلاً ... يعلُو سماءَ العُلا في عِزَّةٍ وإبَا

مضى إلى الله يا لَلْحُزْنِ مِن خبَرٍ ... لو أنّه كَذِبٌ قد أمدحُ الكَذِبَا

---

(١) وقد أرسلها إليّ عن طريق الأخ الفاضل إبراهيم زهرات المغربي جزاهما الله خيراً.

أو أنّه من كرىٰ الأضغاثِ صاعِقَةٌ لأَهْجُرَنَّ فِراشَ النَّومِ والأُهُبَا

وأُعْطِينَّ بتكذيبٍ لـه مُهَجًا وَأَبْذُلَنَّ عليه الوَرْقَ والذَّهَبَا

لكنه الصدقُ حمداً للإله علىٰ ما أَمْسَكَ الدَّهْرَ مِن نُعْمَىٰ وما وَهَبَا

صِدْقٌ يُبَدِّدُ آمالاً ويبعثُ مِن اصدائِه اخوفَ الآلامِ والشَّجَبَا

صِدْقٌ أَحَرُّ مِن الرَّمْضَا علىٰ كَبِدِي أَبْقَىٰ الفُؤادَ عَليلاً هَيِّنًا وَصِبَا

الوىٰ بصبرِيَ حتىٰ خِفْتُ مِن جَزَعٍ وَأَسْبَلَ الدَّمْعَ مُنْهَلاً ومُنْسَكِبَا

ولستُ وحدِيَ أَرثِيه وأَنْدُبُهُ فلستُ إلا فتىً في عَالَمٍ نَدَبَا

تبكِيه أعلامُ حقٍّ كانَ يَحمِلُها شرقًا وغربًا بأيدٍ تقهرُ الأَلَبَا

فما ترىٰ بلداً إلا لـه أَثَرٌ فيهِ ومُتَّخِذٌ في بَعْثِهِ سَبَبَا

فَسَلْ دِمشقَ وسَلْ عَمّانَ سَلْ حَرَمًا والهندَ والمغربَ الأقصىٰ وسل حَلَبَا

تجد مراثِي في الجُدرانِ باكيةً كأنَّ دمعَتَها قد فارقتْ صَبَبَا

تبكِيه حُزنًا وإجماعًا تقولُ لنا اكرِمْ بـه عَلَمًا عَالِمًا وأَبَا

سَلْ عنه طُلابَه الأفذاذَ في دُولٍ شتَّىٰ تجدْ عبراتٍ تسبِقُ الذَّرِبَا

ومَا لناظِرَةٍ كانت تَقَرُّ بِهِ إلا أَلِيَّتُهَا[1] ان تَهْجُرَ الطَّرَبَا

إيهِ تحقُّ لها الشَّكْوىٰ فقد فَقَدَتْ بفقدِه العِلْمَ والإحسَانَ والأَدَبَا

فما رأتْ مِثْلَه في وُدِّهِ طَرَبًا ولا رأتْ مثلَه في الحقِّ إنْ غَضِبَا

---

(١) أي: يمينها.

وسلْ مُعاشِرَهُ عن خشيةٍ وتُقىً ... كمْ أرسلتْ دَمْعَه في الليلِ مُنْتَصِبَا

يأبىٰ الْمُباحَ ويأبىٰ المدحَ عن وَرَعٍ ... ويستعيذُ بربِّ العرشِ مُرْتَقِبَا

وكم رأىٰ الصَّالحونَ الغُرُّ فيه رؤىٰ ... من عاجلِ البِشْرِ قد جاءَتْهُ فاكْتَرَبَا

أنْ قيل إنَّك تقْفُو المصطفىٰ وبكىٰ ... واستوكَفَ العبراتِ الْحُمْرَ وانتحَبَا[1]

سبعُونَ عامًا من الأزمانِ أسكنها ... بين الأحاديثِ يا بُشراه ما اكْتَسَبَا

سبعونَ عامًا مُحَيَّاهُ يُنَضَّرُ في ... سردِ الأحاديثِ والآثارِ مُحْتَسِبَا

ما كانَ يطمعُ أن يحظىٰ بجَائزةٍ ... لذلكَ لما أتته أشرقتْ طَرَبَا

سبعُونَ عامًا يَذُبُّ الرَّيْبَ عن سننٍ ... إنْ يَبْدُ مُبْتدعٌ أو ذو هَوَىٰ نَعَبَا

يُسْتَنْفَرُ الشَّيْخُ مَنْصُوراً بحجَّتِهِ ... حتىٰ كأنَّ له من ربِّه شُهُبَا

فَيُبْطِلُ البِدَعَ السَّوْدَا ويُزْهِقُهَا ... ولا تُصِيبُ دمًا منه ولا سَلَبَا

يدعو إلىٰ دعوةِ التَّوحيدِ مُنْتَبِذًا ... أَوْحَالَ شِرْكٍ إذا الْمَطْلوبُ قد طُلِبَا

أعلىٰ لأهلِ الحديثِ رايةً حُجِبَتْ ... دَهْرًا فكَشَّفَ عنها السِّتْرَ والحُجُبَا

أعلىٰ به اللهُ قولَ الحقِّ في زمنٍ ... يسطو بغُربةِ أهلِ السُّنَّةِ الغُرَبَا

دوَّىٰ به سَلَفِيَّ النَّهجِ مُتَّبِعًا ... هَدْيَ الرسولِ ومَن للمُصطفىٰ صَحِبَا

صَفَّىٰ ورَبَّىٰ وقد أَبَّتْ أَبَابَتُهُ[2] ... علىٰ الوضوح فما اشروىٰ ولا انتقبا

وأيقظَ الأُمَّةَ السَّكْرَىٰ بأجْوِبَةٍ ... مِن مُحكمِ الذِّكْرِ يُبْدِي الفقْهَ والأَدَبَا

---

(١) إشارة إلىٰ رؤية الأخت الجزائرية.

(٢) أي: استقامت طريقته.

وصَـارَ للسُّنـةِ الغرَّاءِ مـــدرسـةً ... قد جَدَّدَتْ بالحديثِ العُجْمَ والعَرَبَـا

لله دَرُّكَ يـا شيخَ الشُّيوخِ ويـا ... عَـلامةَ العصرِ يا نِبْراسَ مَـنْ سَرَبَـا

ما زالَ صوتُكَ في أُذْنَيَّ يـأسِرُني ... ونُورُ وجهِـكَ عـن عَيْنيَّ ما غَرَبَـا

لا لا تَلُمْني أخي إنْ قلتُ قد جُمِعَتْ ... فيه الخِصَالُ التي تَسْتَوْجِبُ العَجَبَـا

مِن ابنِ حنبلَ نـالَ الصَّبْرَ مُمْتَحَنًا ... إذْ ظَـلَّ يُطْرَدُ في البُلدانِ مُغْتَـرِبَـا

ونَالَهُ اللُّـؤَمَا الأوغَـادُ عـن حَسَـدٍ ... بالطَّعْنِ والتُّهَمِ الشَّوْهَا فما اعْتَتَبَـا

فعادَ جُنْدُ الهَوىٰ بالخُسرِ مُنْهَزِمًا ... وعادَ شيخُ الهُدىٰ بالنَّصْرِ قـد غَلَبَـا

وَمِ البخـاري أمـير المؤمنينَ أتـىٰ ... عَرْشَ الخِلافَةِ في التَّحديثِ وانْتَصَبَـا

وكـانَ كابنِ المديني كَاشِفًا عِلَلاً ... تُعْيِي الألبّا ومَن في الفنِّ قد أَرِبَـا

ومن يُطَالِعْ بمحضِ العَدْلِ ما كَتَبَتْ ... يُمْنَاهُ يَلْقَاهُ نَقَّادًا ومُنْتَخِبَـا

فكُلُّ خَافِيةٍ عن شمسِهِ اتَّضَحَتْ ... وكُلُّ مبتعدِ المعنىٰ بـهِ اقْتَرَبَـا

سلْ عنه مكتبةً بل مكتباتِ هُدًىٰ ... تَربَّعَ الشيخُ في أرجَـائِها وَرَبَـا

ما كانَ يسأَمُ مِن عيشٍ بها أبدًا ... وكـانَ يَهْجُرُ فيها الصَّحْبَ والعنَبَـا

ولا يُفَارِقُـها حِرصًا علىٰ زمـنٍ ... حتىٰ يُطَالِعَ منها الدِّقَّ والسَّهَبَـا

فَيَفْصِمُ اللؤلؤَ المكنونَ عن زَبَـدٍ ... ويُطْعِمُ العَسَلَ المعسُولَ والرُّطَبَـا

فأتحفَ الكونَ بـالإرواءِ أرسلَـه ... كالجارياتِ بيُسْرٍ تَمْحَقُ الجَدَبَـا

ورصَّعَ الجِيدَ عن عَطَلٍ بسلسلةٍ ... كالتَّالِياتِ لِذِكْرٍ تـدرأُ الكَذِبَـا

وكم من الكُتُبِ الغَرَّا أفادَ بها تَرْوِي الصَّحِيحَ وتنفي الزُّوْرَ والشَّغَبَا

وكم تَحاكَم أقوامٌ إليه فما نَادَوْهُ إلا وأنهى الرَّيْبَ والصَّخَبَا

فَسلْ مُناظِرَهُ عن قَدْرِ هَيْبَتِهِ هلْ يستطِيعُ امتِدَادَ اللَّحْظِ إنْ قَرُبَا

وَسَلْ مُحَاجِجَهُ عن حَدِّ عَارِضَةٍ هل يستطِيعُ لها أن يُثْبِتَ الرُّكَبَا

جَمٌّ التَّواضُعِ لم يُفسِدْ وِدَادَ أخٍ بالخُلْفِ في نَظَرٍ كلا ولا أَشَبَا

وإنْ تبدَّىٰ له البُرْهَانُ من أحدٍ أفضَىٰ إليه بفَيْضِ الشُّكْرِ مُنْثَعِبَا[1]

فالله يغفِرُ ذنبًا لِلأُلَىٰ زَعَمُوا شُذُوذَ شيخِ الهُدىٰ في الرَّأي مُنْعَصِبَا

أو مَنْ يقُولُ لدىٰ الإيمانِ إنَّ له من قولِ مُرجِئةٍ كَلا لقد كَذَبَا

أو مَن يقُولُ تعدَّىٰ عِندَ قِسْمَتِهِ كُتُبَ الحديثِ إلىٰ مَا لانَ أو صَلُبَا

قُلْنا اقتدَىٰ بالبُخاري الشَّهْمِ والبغوي فهلْ هُمُو قَدْ تَعَدَّوْا أم عَلَوْا رُتَبَا

والأمرُ مَقْصِدُ تَأليفٍ يُيَسِّرُ عن جُلِّ الوَرَىٰ ولِكُلٍّ وجهةٌ طَلَبَا

أو مَن يقولُ بأنَّ الفِقْهَ ليسَ له تاالله ما عَرَفُوا فِقْهًا ولا أَدَبَا

فهلْ رأيتُم كأحكامِ الجنائزِ أو ما خَطَّ مِن صِفَةٍ للمصطفىٰ وَحَبَا

ما الفِقْهُ إلا حديثُ المصطفىٰ لفتًىٰ دقيقِ فهمٍ كفهمِ الشَّيخِ قد نَجُبَا

قُلْ إي وربِّي إنَّ الشيخَ مجتهدٌ يقولُ ما يَقْتَضِيه النَّصُّ مُسْتَهِبَا

فكانَ حَتْمًا سلوكُ العُرْفِ معه فلا يُلام لومًا قَبِيحَ الوصفِ مُعْتَلِبَا[2]

---

(١) تعب الماء فانثعب، أي: فجّره.

(٢) سيئ الحال مهدوم غيرُ محكم.

وكم تنكَّرَ أقوامٌ وكم جحَدوا لكنَّهم سَرَقُوا في السِّرِّ ما كَتَبا

لسنا نُغالي ولا ندعُوا بِعِصْمَتِهِ كلا ولا نحنُ نجفوا عنه إن عزَبَا

نُثْني عليه كما أثنَى جَهَابِذَةٌ كابنِ العُثيمينِ وابنِ الباز والخُطَبَا

بل إنَّه سلَّم الأعْدَا تفرُّدَه مثل الغُماريْ وإن نَاوَاهُمُ وأبَى

يا أيُّها الشَّانيءُ المُبدِي عداوَتَه رويدك اليوم لا تَفْرَحْ إن انْشَعَبَا

فالشيخُ إنْ ماتَ جِسْمًا لم يَمُتْ عملاً بل خلَّفَ الذِّكرَ والطُّلابَ والكُتُبَا

ونحسبُ الله وفَّاه بخَاتمةٍ حُسنَى فما طالَ عن دفنٍ وما تَعِبَا

وكانَ أوصَى بأنْ تَبقَى ذَخَائِرُهُ وَقْفًا لجامعَةٍ قِدْمًا بها انتُدبَا

إنّا نُحِبُّه دِينًا قيِّمًا ونرَى سَبِيلَ حُبِّه بالبُرهانِ قد وَجَبَا

إنْ شِئْتَ تَنْمِيهِ في الأبدالِ قُلتُ نَعَمْ أهلُ الحديثِ هُم الأبدالُ والنُّقَبَا

أو شِئْتَ في أولياءِ الله قلتُ نعم ومَن يُعادي وليًّا خابَ وانْقَلَبَا

وليس يَطْعَنُ فِيهم غيرُ مُبْتَدعٍ وينهَجُ الحبَّ مَن للسنةِ انتسَبَا

ماذا أقولُ لأستوفي مَحَامِدَهُ وهل أحاولُ مَبْسُوطًا ومُقْتضبَا

كلا سأتعَبُ عدًّا ثم أرجعُ كي أقولَ سُبحانَ مَن أعطَى ومَن وَهَبَا

قد ذكَّرَ النَّاسَ بالأسلافِ والعُلَمَا وكانَ عَالِمَ هذا العصرِ دُون إبَا

فالله يجزيهِ خيراً ثم يُسْكِنُهُ فَسِيحَ جنَّاتِهِ مثوًى ومُنْقَلَبَا

والله يجعلُ في الباقِينَ تَعْزِيةً لكُلِّ ذِي سُنَّةٍ مِن فَقْدِهِ رُعِبَا

الفهرس